

الفِرَقُ الأِسْلامِيَّة

مَجْمُوعَةُ البَشَائِشِ

الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

٥٢٦ شارع بورسعيد / الظاهر

ت: ٥٩٢٢١٢٠ فاكس: ٥٩٢٦٢٧٧

ص.ب ٢١ توزيع الظاهر - القاهرة

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الطبعة الأولى

٢٠٠٣-٥١٤٢٣ م

٢٠٠٣ / ٩٤٧٠	رقم الابداع
977-341-094-3	I.S.B.N الترقيم الدولي



الناشر

مكتبة الثقافة الدينية

٥٢٦ ش بورسعيد - القاهرة

ت: ٥٩٢٦٢٠ - فاكس: ٥٩٢٦٢٧

ص.ب ٢١ توزع الظاهر - القاهرة

مقدمة

تاريخ الفرق الاسلامية

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

﴿ وبعد ﴾

فلما رأيت أسماء بعض الفرق الاسلامية تدور كثيراً في (علم الكلام) وليس بأيدي الباحثين فيه كتاب مرتب مختصر يبين هذه الفرق ، استحسنت أن أضع في هذا الموضوع (كتاباً) يكون وسطاً بين الإيجاز والاطناب ، في عبارة واضحة وترتيب يسهل معه البحث والاطلاع ، وقد اقتصرت على المذاهب التي لها أثر ظاهر في تاريخ المسلمين ، وبدأت بذكر (أهل السنة) وإن لم يظروا (كطائفة ذات قوة) إلا بعد تكون الفرق الأخرى ، لأنهم ينظرون في مذاهب غيرهم من الفرق ، فمن حق القارىء أن يلم بتاريخهم قبل أن يعرض لتاريخ غيرهم .

وإني ما ابتغيت إلا خدمة التاريخ الاسلامي باللقاء ضوه (كافي) على ناحية جلية من نواحيه ، ورائدي فيما حاولته المصلحة العامة ، والقيام بواجب ، يدعوني الاخلاص أن أقوم به ، وما أزكى نفسي فيما أحاول ، وما أدعى الاتيان بما لم يأت به سواي ، ولكنني أقوم بواجبي ، وأنهمض بتسطي

فحسب ، يحدوني على ذلك حسن النية ، وحب الخير ، ولعل في مجهود
تالي ، يقوم به من أراد ، فائدة أستيدها ، وهديا أستيير به ، ولقد كانت
ضالتي الحقيقة أنشدها والصواب أبتقيه والانصاف أسير على منهجه ،
ومرجعي فيما تناولت بحثه من المذاهب والنحل أحفل الكتب ، وأصدق
المراجع .

وقد عنيت كثيرا ببحث المسائل الخلافية (في علم الكلام) وقارنت
كثيرا من الآراء بعضها ببعض ، وتناولت تاريخ (الخوارج) ببسطة في
القول ، يتسع لها المقام فلم أغفل فيه الناحية الأدبية ، إذ كان للخوارج
منها حظ كبير ، وألحقت بهذا البحث فصلا مناسباً في معنى مذهبي الحلول
والتناسخ وإبطالهما ، فقد قال بهما بعض الفرق ، وكان لهما من الخطر ما يقتضى
عناية خاصة .

هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرة ، إن أريد إلا الإصلاح
ما استطعت وما توفيقى إلا بالله ما

محمود على البتيمسى

مذشأ الفرق الاسلامفة

جاء القرآن الكرفم فدعو العقول إلى النظر ، ومبأها على أن تفكر ، وتفتس حاضر الأمم بماضفها ، وأن ترفع عن التقلفد الذف لا فبمل بالإنسان ، ورفع صاحب الرسالة ففله الصلاة والسلام من قدر العقل فف مواطن ككفرة ، فاعتقد المسامون بمبأ أن الإسلام لا فمادف العقل بل فمأشفه إلى أفصف حد ، فلما انتقل النبف ففله السلام إلى الرففق الأعلى ولحق به أصحابه (أبو بكر وعمر) طرأت على الناس مسائل عدة اقتضت منهم النظر وإجاللة الرأف ففعلوا ، لا فرون ففهم فف ذلك إنما ولا حرجا ، جرفا على سنة الدين فف مخاطبة العقول ، والتعوفل على النظر

من تلك المسائل مسألة الخلافة ومن هو أأق بها (أهم آل البف أم سواهم) ومسألة قتل الخلفة الثالث بدون حكم شرعف وما عرا الأمة إذ فاجأها ذلك المأأف من رجة فكرفة عنفة طأأ بالروفة وذهب بككفر من الأفكار مذأب شتف : ففقام قوم فطالبون بدم عثمان ، ونشبت الحرب ففن سفنا (على) والسفدة عائشة ، ثم قامت ففن (على) ومعاوية حروب شعواء ، وتبع ذلك انشقاق جماعة (على) كرم الله ففمه بمسألة التحكفم فف الخلاف ففنه وففن معاوية فف السنة السابعة والثلاثفن للهجرة

وكان من الأسباب الباعثة على البأف والنظر والمأدل ففن المسلمفن مسألة القضاء والقدر ، وهل الإنسان مأأار فف أعماله الأرادفة أو مأبور ففها وهل مرأبب الكبفرة مؤمن أو ففر مؤمن ، ومسألة البأف فف معنف ما أضافه الكتاب والسنة إلى الله من أشفاء تؤهم شفه بالأمأأف كالقوففة

والإشهاد على النبي، والوجه، واليد، والعينه، أو صفات بشرية فيها خلقه (١) كاخفاة البصير والبصير والكلام، ومسأله لقول في حلفي (٢) القرآن الكريم أنه قد صدق، ثم كان ابن المسلمين من زيارتي الاسلام وأبطن الكيد له، حنبيا إلى ستمهم الأولى (كعبد الله بن سبأ) فأوضحوا (٣) حلال المسلمين يبعثهم الفتنة، وخبوا في مسائل الخلاف ووضعوا، بل إن منهم من دس على المسلمين أحاديث كثيرة نسبها كذبا إلى الرسول عليه السلام ليوهن المقيدة، ويلبس على الناس دينهم، ومنهم من استعان بالأحاديث يروج بها مذهبه، ويقارع بها خصمه، فكثير الوضع في الحديث، وراوت مسألة الخلاف اتساما

ولما ترجمت كتب الفلاسفة زمن (الرشيد والمأمون) وكان الخلاف في مسائل علم الكلام المتقدمه بالغا أشده، تعلم انفسه واشتغل بها قوم من المسلمين، إما يريدوا بها على مذاهب الفلاسفة والدهريين القائلين بقدم العالم مثل (ديموقراط) وإما لينقروا بها على مجادلهم من المسلمين، وبدهي أن هذا يزيد المجدل والخصومة، ويوسع مسافة الخلف وفي خلال ذلك غلب بعض الطوائف التي ولدها الخلاف حتى ابتدعوا أقوالا خرجت بهم عن دائرة الاسلام كالقائلين بالحلول أو التناسخ من السبئية والحائطة من المعتزلة والقرامطة والباطنية كل ما تقدمه الأسباب من شأنه أن يولد الخلاف الذي يجر إلى تكوّن الأحزاب والطوائف، فكان من أثر ذلك تكوّن الفرق الاسلامية كالشيعة والخوارج

(١) هذا الاشتراك في الاسم فقط

(٢) كانت هذه المسألة في زمن المأمون فالمتصم فالواق يقولون كان معناها وكانت فته شديدة أودى فيها خلق كثير كالإمام أحمد فلما تولى المتوكل رفع هذه الحجة وصرف

الناس عن الخوض فيها

(٣) أسرعوا

والمعتزلة وأهل السنة ، والجبرية والمرجئة ، والمشبهة وغيرهم ، أما ما سبق ذلك من خلاف المسلمين على المكان الذي يدفن فيه الرسول ، أو خلاف المهاجرين والأنصار على من هو من الفريقين أولى بالخلافة ، أو الخلاف في محاربة مانعي الزكاة فلا يعد خلافا بالمعنى الذي يحدث افتراقاً أو يولد عداوة وبغضاء

الحكم على تلك الفرق من الوجهة الدينية

قال ابن حزم^(١) في الملال والنحل ما ملخصه : (اختلف الناس في هذا الباب ، فذهبت طائفة إلى تكفير كل من خالفهم في شيء من مسائل الاعتقاد أو الفتيا ، وذهبت طائفة إلى تكفير المخالف في البعض ، وتقسيمه في البعض الآخر ، وذهبت طائفة إلى أن من خالفهم في مسائل الاعتقاد كافر ، ومن خالفهم في مسائل الأحكام والعبادات ليس بكافر ولا فاسق ، ولكنه مجتهد معذور إن أخطأ فله أجر وإن أصاب فله أجران ، وقالت طائفة أخرى إن من خالفهم في الاعتقادات كافر إن كان الخلاف في صفات الله تعالى ، وإلا فهو فاسق ، وذهبت طائفة غير هؤلاء إلى أن المسلم لا يكفر ولا يفسق بقول قال في اعتقاد أو فتيا ، وأن من اجتهد في شيء من ذلك فدان بما اعتقد أنه الحق فهو مأجور على كل حال . ثم قال (ابن حزم) والحق أن من ثبت له عقد الاسلام لا يزول عنه إلا بنص أو إجماع ، وأما بالدعوى والافتراء فلا موجب لأن يكفر أحد بقوله ، ما لم يخالف ما صح عنده أنه من كلام الله أو الرسول سواء أ كان ذلك في عقيدة أو نحلة أو فتيا ، وسواء أ كان ذلك الذي خالفه من كلام الرسول الذي علم بصحته من المتواتر أو المجمع عليه أو من نقل الآحاد

(١) هو الامام علي بن احمد بن حزم الظاهري الاندلسي توفي سنة ٤٥٦ هـ

غير أن مخالف الحديث المجمع عليه يقينا أدخل في باب الكفر ولا حجة له ومجمع على تفكيره لمخالفته الاجماع الذى اتفق الجميع على معرفته . ثم قال : وكذلك من قال بالتجسيم جاهلا ، أو متاولا ، فهو معذور ويجب تعليمه ، فإذا قامت عليه الحجة من الكتاب والسنة فعاندا فيهما فهو كافر .

وأما القائلون بحلول الله تعالى في جسم من الأجسام ، أو أنه شخص بعينه ، أو أنه ستكون رسالة بعد رسالة خاتم النبيين فلا خلاف في كفرهم لصحة قيام الحجة بكل هذا على كل واحد ، ولو أمكن أن يوجد أحد لم يعرف الحق في هذا ، ولم يبلغه قط خلافا لا يكفر حتى تقوم عليه الحجة . وأما تكفير الناس بما تؤول إليه أقوالهم خطأ . لأنه كذب على الخصم ونسبته إلى قول مالم يقوله .

فلا يكفر أحد إلا بنفس قوله ونص معتقده ، ولا تشريب على أحد أن يعبر عن معتقده بعبارة يحسن بها قبحه لكن لا يحكم عليه إلا بمقتضى قوله فقط .

ومن جحد شيئا صح بالاجماع أن النبي أتى به فقد كفر ، ومن استهزأ بنبي أو ملك أو آية من القرآن أو فريضة من الفرائض فهو كافر .

ثم أجمل (ابن حزم) القول في هذا الموضوع فقال :

« إنه لا يكفر أحد حتى تبلغه الدعوة ، فإن بلغته ولم يؤمن بها فهو كافر ، فإن آمن بها ثم اعتقد ما شاء في فتيا أو نحوه دون أن يبلغه حكم ذلك عن النبي عليه السلام فلا شيء عليه حتى يعلم الحقيقة ، فإن علمها وصح فتدعه مجيها عن النبي عليه السلام مخالفا مجتهدا فيما لم يعرف فيه وجه الحق فهو منخطى معذور مأجور ، وإن خالفه بالعمل معاندا للحق مع اعتقاده

خلاف ما يعمل فهو مؤمن فاسق ، وإن خالفه مماندا جاحدا بقوله وقلبه .
 فهو كافر سواء في ذلك العقائد والفتيا . تم تلخيص كلام ابن حزم .
 وجاء في كتاب (الفرق بين الفرق) لأبي منصور (١) بن طاهر
 البغدادي ما ملخصه : —

(الصحيح أن السنن الموحده هو الذي يعتقد حدوث العالم وتوحيد
 صانه وقدمه وصفاته وعدله وحكمته ونفي الشبهه عنه ويعتقد بنبوته محمد
 عليه السلام وأنه رسول إلى الناس كافة وأن كل ما جاء به حق وأن القرآن
 منبع أحكام الشريعة وأن الكعبة هي القبلة فمن أقر بذلك لا يشوبه ببدعة
 تؤدي إلى الكفر فهو مسلم موحد .

ويعد كافرا من قال بالهية الاثمة أو قال بالحلول أو التناسخ أو أباح
 محرما مجمعا على تحريمه كسكاح بنات البنين وبنات البنات أو حرم ما أباحه
 القرآن بالنص الذي لا يقبل التأويل أو قال بنسخ الشريعة الاسلامية . اه
 وهانذا أشرع في الموضوع مستعينا بالله فأقول :

إن الفرق الاسلامية الكبرى خمس : أهل السنة ، والمعتزلة ، والمرجئة ،
 والشيعة ، والخواارج . وبمدها طوائف عدة عرفت بأسماء تشير إلى
 مذاهبها كالجبرية (المجبره) والقدرية والمفوضة والمشبهة والمجسمة وهناك
 غير هذه طائفتا (الباطنية والقرامطة) ولهما صفة خاصة (٢) وإن كانتا
 تستقيان من منبع الشيعة الغلاة ، ومعظم هذه الفرق مشتق من الخمس
 الرئيسية أو خليط من رجالها كما سيتضح . إن إيراد كل فرقة وما تتحلل
 من عقيدة .

(١) توفي في اسفرايين سنة ٤٢٩ هـ

(٢) السبل مجموعون على تكفيرهم كما سيتضح من قراءة مذاهبهم الخاطئة

وقد انقسمت كل فرقة أساما كثيرة على تباعد أو تقارب بينها في التمسك بأصل المذهب الذي تتخله ، عدا أهل السنة فانهم لم يفتروا إلا يسيرا في مسائل قليلة من العقائد أو طرق الاستدلال أو الحلال والجرام ، وليس فيما حدث من هذا تضليل ولا تفسيق ، ولا ضرب لذلك -مثلا هذه المسألة :

يرى (الأشاعرة) أن صفات الأفعال حادثة لأنها عبارة عن تعلقات القدرة التجيزية الحادثة ويخالفهم (الماتريديه) أتباع أبي منصور الماتريدي الحنفي بقولهم إن صفات الأفعال هي (صفة التكوين) ، وهذه عندهم صفة قديمة قائمة بذات الله تعالى يكون بها الإيجاد والاعدام (كالرزق والخلق مثلا) فهذا كما ترى خلاف . ولكنه خلاف لم يصدع عصا (الجماعة) ولم يفرق كلمتهم ثم لم يلبث إلا يسيرا حتى انتهى إلى وثام وإغضاء وتضافر على رد ما خالف رأى (أهل السنة) من آراء في فرق أخرى غالت في القول ، وتفرقت شيما يكفر بعضها البعض في أكثر الأحوال .

وإليك كلمة في تاريخ كل فرقة وبيان آرائها : -

١ - أهل السنة

رأس هذه الفرقة هو الامام (أبو الحسن علي بن اسماعيل الأشعري) ولد سنة ٢٦٦ هـ وتوفى ببغداد سنة بضع وثلاثين وثلثمائة كان أول أمره حنفي المذهب تلميذاً للجبائي المعتزلي ثم خالفه في مسألة القول بوجود الصلاح والأصلح على الله :

حكى أن (الأشعري) سمع أستاذه (الجبائي) يقرر مسألة وجوب الصلاح والأصلح فقال . اتقول في ثلاثة إخوة مات أحدهم مطيعاً ومات

الثنى عاصراً ومات الثالث صغيراً؟ فقال الجبائي الأول يثاب في الجنة ،
والثاني يعاقب في النار ، والثالث لا يثاب ولا يعاقب . فقال الأشعري فإن
قال الثالث لم يثنى صغيراً ولم تبقى حتى أكبر فأطيعك لا ثاب في الجنة ؟
فقال الجبائي بقول الله إني كنت أعلم منك أنك لو كبرت لعصيت فدخلت
النار فكان الأصح لك موتك صغيراً فقال الأشعري فإن قال الثاني :
يارب لم تمتني صغيراً لئلا أعصى فأدخل النار فإذا يقول الرب ؟ فهبت
الجبائي ومن ذلك الوقت تركه الأشعري واشتغل هو ومن معه بأبطال آراء
المعتزلة ، ووقف للدفاع عن العقيدة الإسلامية في وجه أرباب الآراء
المضلة من الفرق الأخرى ، حتى قيل كان المعتزلة قد رفعوا رءوسهم حتى
أظهر الله الأشعري فحبسهم في أقاع السماسم وقد شك فيه الناس أولاً لأنه
قريب عهد بالاعتزال ثم لم يلبثوا أن ركنوا إلى آرائه ، وكان ينهج منهاجاً
وسطاً بين مذهب الاعتزال المغالي في نفس صفات الله وبين مذهب الغلاة
في إثبات الصفات (حتى أدى الأمر بطائفة من الناس إلى أن شبهوا الله تعالى
بخلقه ، وقلوا بالتجسيم في ذاته العلية) وانحاز إلى مذهب الأشعري طائفة
كبيرة من صفوة العلماء وناصروه ، منهم القاضي أبو بكر الباقلاني المكي ،
وأبو الحسن بن فورك ، وأبو اسحق الإسفراييني ، وأبو اسحق الشيرازي ،
وأبو حامد الغزالي ، والفخر الرازي ، ومحمد بن عبد الكريم الشهرستاني
وغيرهم ، فاعتنق الناس مذهب الأشعري وسموه (رأي أهل السنة والجماعة)
وانتشر عذهب الأشاعرة بالعراق ثم بالشام ثم بسائر ممالك الدولة الأيوبية
التي كانت تعاضده ثم ببلاد المغرب على يد (ابن تومرت) الذي رحل إلى
العراق وتناقى فقه الأشاعرة على الأمام (أبي حامد الغزالي) وعاد إلى بلاده
فلتقن المذهب الذي صار (بعد زمن) منذهباً شائعاً في تلك الجهات .

وأهل السنة يقولون بصفات المعاني لاعلى الوجه الذى جر إلى التجسيم كما تقول المشبهة بل على وجه يليق بوحديته تعالى فلا يقال هي هو ولا هو هي ويقرون بالكتب السماوية والمعاد والحياة الآخرة وما فيها من صراط وميزان وجنة ونار لاتفنيان ونعيم لأهل الجنة دائم وشقاء لأهل النار مقيم ، ويثبتون للعبد كسبا واختيارا فى أعماله الاختيارية لا يخرجان به عما قدره الله وعلمه وأراده بحيث لا يصير خالقا لأفعال نفسه فلا تأثير لقدرة العبد فى أفعاله الاختيارية ، بل الكل مخلوق لله بلا واسطة ، كما أن قدرة العبد مخلوقه له تعالى ، وإنما للعبد اختيار وميل وقصد فى كل ما يزاوله من الأعمال الاختيارية لاعلى أن ذلك يعد منه إجماداً واختراعاً وهذا هو ما يسمى بالكسب والاكتساب فأفعال العباد الاختيارية تتعلق بها قدرة الله تعالى لتعلق الإيجاد وقدرة العبد على وفق إرادته تتعلق كسب ، وليس للقدرة الحادثة تأثير بل لها مجرد المقارنة للفعل الذى يخلقه الله عندها لا بها كما يخفق الاحراق عند مماسة النار للحطب ، وقوله تعالى (فتبارك الله أحسن الخالقين) إنما هو من قبيل الجمع بين الحقيقة والمجاز ونقل عن (الباقلانى) أن قدرة العباد أثرت فى فعله بما يجمله طاعة أو معصية والكل متفقون على افتقار العبد الى عون ربه وأن قدرة العبد لا تستقل بالتصرف ، وأن قدرة الله مرجع جميع الكائنات فلا شئ سواها يستطيع إعانة العبد أو يحول بينه وبين ما يحاول ، وقد عرفوا الشكر بأنه (صرف العبد جميع ما أنعم الله به عليه فيما خلق له) ، وليست قدرة العباد إلا نعمة ، أنعمها الله عليهم ، فهم يصفونها فيما خلقت له على حسب إرادتهم ، مستمدين منه العون والسداد ، فأيك من عمل أتوه فإن مرده إلى الله الذى وهبهم القدرة وأمدهم بالمعونة ، وفرق بين هذا وبين من يقولون باستقلال فى أفعاله وحلقه الحقيق لجميع أعماله الاختيارية .

إذ قول هؤلاء مخالف للآية الكريمة (والله خلقكم وما تعملون)
 ومع أن جميع الأفعال من الله لا يحسن من باب الأدب أن ينسب
 إليه إلا الحسن قال تعالى (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من
 سيئة فمن نفسك)

هذا ومما تقرر أن قدرة الله فوق كل قدرة فهي مرجع جميع
 الكائنات وإليها يفزع العبد إذا سدت في وجهه المسالك ، وأعيته
 الحيلة ، ومن آثار قدرة الله ما يحول بين العبد وبين غايته من العمل بعد أن
 يكون قد أخذ للعمل أهبطه ، وعلم الله تعالى محيط بالعبد وما يقع منه بإرادته
 وبما يقع من الأعمال وما يتخذ في سبيلها من فكر وتدبير وأن عمل كذا
 يتم أو لا يتم ، وفي أي وقت يكون ، وكون العمل خيراً أو شراً ، وليس لك
 العلم بقاهر للإنسان على سلوك خطة معينة ولا بصارف له عن طريق
 يسلكه ، فلا جبر ولا إرغام ، (وكون ما في علم الله يقع لا محالة إنما جاء من
 حيث أنه الواقع والواقع لا يتبدل)

ويقول أهل السنة أيضاً برؤية الله في الآخرة بلا كيفية ولا انحصار
 لورود صريح القرآن والسنة بذلك ولعدم إخلال الرؤية بتزيه الله تعالى
 (بوجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة) قال عليه الصلاة والسلام (إنكم
 سترون ربكم كما ترون هذا القمر ليلة البدر) فالصراحة في الآية والحديث
 واضحة ، ولا تتنافى الرؤية (كما قررها أهل السنة) مع تزيه الله تعالى عن
 التخيز والجهة ومشابهة الخلق ، فليس هناك جهة ولا تخيز ، ولا بصر
 بالمعنى المعروف ، ولا إحاطة راء بمرئي ، بل الرؤية فضل من الله يعطيه من
 يشاء من عباده الذين أرضوه بالطاعات فأرضاهم بالرحمة والرضوان وبالتجلى
 عليهم يوم التاد بلا كيفية ولا انحصار على ما هو معهود في رؤية الأجسام

فيحار أولئك المقربون فيما يشملهم من العظمة والنور والجلال إذ ذلك فيذهل الواحد منهم عما عدا الله ، وهذا هو المراد بقوله تعالى (لا تدركه الأبصار) ويقولون إن الإيمان هو التصديق بالقلب والنطق باللسان أما العمل فشرط لسكال الإيمان ، وصاحب الكبيرة إذا خرج من الدنيا ولم يتب من ذنبه فحكمه إلى الله إن شاء عذبه وإن شاء غفر له ، وأنه لا يجب على الله شيء أصلا فلا يجب عليه فعل الصالح والإصلاح إذ هو الفاعل المختار يتصرف في ملكه كيف يشاء ، وإن كان فعله جل جلاله ليس عبثا ولا يخلو من حكمة وإن خفيت عن العقول وحجتهم أنه لو وجب عليه الصلاح (كالإيمان المقابل للكفر) والأصلح (كتيسير المؤمن لنهاية الطاعات لينزل أعلى منازل الجنة) لكان مكرها ، وقد ثبت أنه تعالى مرید مختار لا معقب لحكمه وهو الحكيم في فعله الخبير بمصالح خلقه ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون .

ويقولون إن بعثة الرسل جائزة في حق الله لا واجبة عليه يرسلهم الله رحمة بعباده ليهدهم الصراط المستقيم ، ولئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل

ولهم في شأن الالفاظ المضافة الى الله في الكتاب والسنة مثل الفوقية والاستواء والنزول الى سما الدنيا والاصبع والصورة والوجه واليدين طريقتان احدهما طريقة الساف (وهم الصحابة والتابعون وتابعو التابعين) ومؤداها تفويض المعنى المراد منها الى الله مع اعتقاد تزيهه عن صفات الحوادث . والأخرى طريقة الخلف (وهم من بعد الساف) ومؤداها تأويل معنى اللفظ الى ما يليق بمقام الألوهية ولا يكون معه إيهام تشبيه بالحوادث مثال ذلك (يخافون ربهم من فوقهم) فالساف الصالح يقولون فوقية لانعالمها تليق بجلاله تعالى والخلف يقولون المراد بالفوقية الارتفاع والتناهي في العظمة وهكذا الى غير ذلك من العقائد التي تكففت بها كتب علم الكلام .

ووضعوا^(١) علم الكلام على دعائم من الأدلة العقلية والنقلية حفظته الى الآن من محاولات المبطلين، ولكن الأشاعرة أوجبوا على الناس معرفة الأدلة التي تذرعوها بها الى اثبات العقائد، فبندم أن الجهل بالدليل يؤدي الى عدم المدلول، ومضى الناس حقبة من الزمن على ذلك حتى قام نفر من أهل السنة كالغزالي والفخر الرازي وحلوا الناس من هذا القيد وقالوا قد يكون في الدليل الذي تقرر عند الأشاعرة ضعف أو قد يوجد عند سواهم أقوى منه إذ قد تقتضى الأحوال تعديله أو تبديله تبعاً لتطور العلم والمعارف فلا معنى للحجج على العقول، وليستدل الناس على العقائد بما هداهم اليه المنطق والعقل السليم مادامت النتيجة رسوخ العقيدة وثبات اليقين.

٢ - المعتزلة

أصل هذه الفرقة (واصل بن عطاء) الملقب بالغزالي^(٢) ولد في سنة ٨٠ هـ ومات في سنة ١٣١ هـ في خلافة هشام بن عبد الملك وهم غلاة في نفى الصفات الالهية فسموا من أجل ذلك (معتزلة) فيقولون مثلاً إن الله سميع بذاته بصير بذاته لا بصفة ويقولون بالحسن والقبیح العقليين . يريدون بذلك أن الشيء يجب فعله لما في ذاته من الحسن، ويجب تركه لما في ذاته من القبح، والأول يوجب العقل والثاني يحيله العقل. وأهل السنة يتنازعونهم في ذلك لأن العقول تتفاوت في درجة الحكم على الأشياء لاختلاف الأمزجة وضعف قوى العقل كلها أو بعضها عند بعض الناس ولأنه كثيراً ما يتأثر الحكم بالآثرات الخارجة عن العقل كالمطامع

(١) وضع علم الكلام الأشعري ومن تبعه: وأبو منصور الماتريدي ومن تبعه

(٢) لقب واصل بالغزالي لأنه كان يلازم حوانيت الغزاليين

وإختلاف الیثات ودرجة الثقافة قوة وخطاطا ، فقد یرى العقل الكامل أن یصل الى السعادة بالجد والاستقامة واحترام الحقوق ، ویرى فی الوقت نفسه عقل آخر أن أسهل طریق لها المدوان على الغير وانتهاج ما لیس فیه حق ، فالعقل وحده لا یكفی لتبیین الحسین والقبح بل لابد من مرشد ینیر أمامه السبیل ویمضده فی أداء واجبه وذلك المرشد هو نور النبوة الذی یفیضه الله على عباده تفضلاً منه ورحمة فیرسل به الرسل مبشرين ومنذرين ویقول المعتزلة بوجود مرتكب الكبيرة فی منزلة بین الکفر والایمان وبخلود مرتکبها فی النار وبعده فی النار فاسقاً لأنهم یقولون إن جمیع الطاعات من الایمان .

أما جمهور أهل السنة فعلى أن الایمان هو (التصدیق بالقلب) والنطق شرط لصحة الایمان أو لأجراء الأحكام الدنیویة ، وأبو حنیفة وبعض الأشاعرة على أن الایمان هو (التصدیق والنطق معا) فالنطق على هذا شرط من الایمان ، وأما العمل فشرط لسکال الایمان على کلا الرأيین ^(١)

وبین من هذا أن مرتكب الكبيرة لا یتجرد من الایمان وإن لم یکن کامل الایمان ، فمن مات ولم یتب من کبیره ارتکبها فأمره الى الله إن شاء

(١) والراجح عند أهل السنة أن الایمان یزید وینقص بزیادة الطاعات أو نقصها ، لقوله تعالى : (وإذا تلیت علیهم آیاته زادتهم إیماناً) والذی یقبل الزیادة یقبل النقصان (الا لعارض کعصمة الانبیاء) ولقوله علیه السلام وقد سئل هل یزید الایمان وینقص : (نعم یزید حتى یدخل صاحبه الجنة وینقص حتى یدخل صاحبه النار) ویرى جماعة منهم (أبو حنیفة) وأصحابه أنه لا یزید ولا ینقص وتأولوا أدلة الزیادة والنقص ، هذا والمعتمدان الایمان والاسلام متلازمان شرعاً فیکل مؤمن مسلم وبالعکس ومتغایران لغة (كما هو واضح) ومفهوماً (إذ الایمان تصدیق وإذعان) ، و (الاسلام امتثال الأوامر والنواهی بناء على التصدیق والأذعان) ، وقوله تعالى (لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا) یتوکل الاسلام فیهِ على الانقیاد الظاهری فقط ، والتلازم بین الایمان والاسلام المعتبر شرعاً .

عنا عنه وإن شاء عذبه ثم هو غير خالد في النار كالكفار .
ويقولون إن العبد يخلق أفعال نفسه الاختيارية ، وقد أسلفت الرد عليهم
في الكلام على مذهب أهل السنة .

ويقولون إن إحدى الطائفتين من أصحاب الجمل^(١) و صفيين في النار
لا يعينون واحدة ، وأهل السنة يؤولون النشاجر بين الصحابة تأدبا واحتراما
لصحبهم للنبي عليه السلام وحسن بلائهم في نشر دعوة الإسلام واستيلاء
للهوى عن نفوسهم ، ويقولون الكل مجتهد ينشده مصلحة الإسلام والمسلمين
وقال المتزلة بخناق القرآن الكريم ، ويرد أهل السنة عليهم بقولهم إن
الدلالات (وهي الألفاظ التي نقرؤها) حادثة لأننا نتلوها بالستنا ونكيفها
بأصواتنا وهي في حين القراءة قائمة بالحدث (ومعنى حدوثها أن الله خلقها
وليس لأحد في أصل تركيبها كسب ما) وأما مدلول القرآن (وهو الصفة
الانفسية القائمة بذاته تعالى) فقديم بلا جدال والفرق بين القراءة والمقروء
كالفرق بين الذكر والمذكور فالذكر حادث والمذكور قديم ومع ذلك
تورع كثير من العلماء ومنهم الامام (أحمد) عن القول بذلك حين أثيرت
هذه المسألة زمن المأمون ومن بعده فلقوا من ذلك أذى كثيرا . وفضلوا
رحمهم الله الأذى على أن يقولوا بخلق القرآن حتى دلالاته لثلاثا ينجر بعض
الناس إلى اعتقاد خلق الصفة القديمة فإن كلام الله يطلق على الصفة القديمة

(١) أصحاب الجمل (على والسيدة عائشة وطلحة والزبير) ومن اشتركوا في حرب الجمل
وأهل صفين (على ومعاوية) ومن معهما

(٢) سجن (ابن حنبل) وضرب بالسياط حتى غشى عليه زمن المتصم وفر البخاري
وهو يقول (اقبضني إليك غير مفتون) وسجن (عيسى بن دينار) عشرين سنة

القائمة بذاته تعالى ويطلق مجازاً أو بالاشتراك على القرآن الذي نقرؤه ومن هنا تورعوا عن القول بخلقه .

وينكر المعتزلة (رؤية الله في الآخرة) وقد تقدم الرد على هذا حين الكلام على أهل السنة كما تقدم الرد هناك أيضاً على قول المعتزلة بوجوب فعل الصلاح والأصلح عليه تعالى .

ومن شيوخ المعتزلة (ابراهيم ^(١) بن سيار النظام) الذي يقول إن الأجماع ليس حجة ، وإن إعجاز القرآن إنما هو من حيث إخباره بالمغيبات فحسب ، وفاته أن من أهم وجوه إعجاز القرآن (على كثرتها) معانيه الرائمة وسمو عبارته وبلوغ أسلوبه درجة من الفصاحة والبلاغة والانسجام أعجزت عن مضاهاتها فطاحل العرب الذين نشثوا في مهد البلاغة ومهداهم القرآن أن يأنوا بعشر سور مثله أو بسورة واحدة فحاولوا جاهدين ثم قعدوا عاجزين مأخوذين برائع لفظ القرآن وبديع أسلوبه وسمو معانيه وهذا دليل عظيم على أنه ليس من كلام مخلوق ، وأيس من جنس أساليب العرب (التي اعتادوها وألفوا القول بها واستطاعوا التصرف فيها .)

ويقول بوجوب معرفة الله بالمقل قبل مجيء الشرع وهذا منه مبالغة في حسن الظن بالعقل البشري الذي يعجز في كثير من الأحوال عن إدراك وجوه الخير والشر في الأشياء الدنيوية المادية فكيف به في الأمور الدينية وبخاصة في معرفة الله تعالى على الوجه الذي يؤمن معه العثار ونصرح به الديانات ؟ ! بل كثيراً ما اهتدت العقول بهادى النبوات فعرفت الله تعالى ولما طال عليها الأمد انتثت سريعة إلى حظيرة الشرك وعبدت

(١) الأشعري ثلاثة كتب في الرد عليه ، وللاملاف المعتزلي كتاب في الرد عليه في بعض آرائه ، ولانظام آراء كثيرة خالف فيها أهل السنة وتوفى سنة ٢٢١ هـ

الأصنام وضات ضلالا بعيدا فلو كانت وحدها مستعمدة لمعرفة الله حق المعرفة لكان بقاؤها على معرفته بعد ما أرشدها الأنبياء أولى ولكننا شاهدنا ونشاهد خلاف ذلك كما في أهل الفترة ، والدهربيين والماديين من الذين عطلوا عقولهم وران عليهم الجهل وأخذهم زخرف التقليد .

ويقول (النظم) أيضا إن الله لا يوصف بالقدرة على الشرور والمعاصي التي تقع من العباد وأنها غير مقدورة له وأهل السنة ينازعون في ذلك لكلا يلزم نسبة العجز إليه تعالى ولكنهم يرون أن ينسب الخير إليه والشر إلى فاعله تأدبا فقط ، قال تعالى (ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك) وأما قوله تعالى (قل كل من عند الله) فمن باب مراعاة الحقيقة فأنت ترى أن المعتزلة يربثون به تعالى عن نسبة الشر أصلا ، وأهل السنة يربثون به عن مظنة العجز .

ومن رءوس المعتزلة (أبو الهذيل محمد العلاف) كان مشتغلا بالفلسفة ومن شيوخ المعتزلة ومقدميهم ويرى أن كل عاص كافر لأن الطاعة عنده من الإيمان وقد تقدم الرد على نحو هذا الرأي من آراء المعتزلة ، وله مقالة غريبة ، وهي زعمه أن حركات أهل الجنة والنار تنقطع حتى يصيروا إلى سكون دائم ثم لا يزالون مع ذلك فيما كانوا فيه فيتمتع أهل الجنة بنعيمها ويشقى أهل النار بعذابها ، ولا أدري كيف يشعر بالنعيم أو الشقاء من فقد حركته وطال سكونه فكان كالفلوج أو كالجماد ؟ !

ومن أقواله القبول بجواز وقوع طاعات كثيرة من الناس لا يراد بها وجه الله (كما تقول بعض فرق الخوارج) وقد أظهرنا فساد هذا الرأي عند الكلام على تلك الفرقة الخارجة

ولمقالات (أبي الهذيل) وتطرفه في بعض آرائه تعرض للرد عليه بعض أصحابه المعتزلة (فبالهزار) كتاب كبير في فضائح (العلاف)

وتكفيره بما انفرد به من الضلالات ، و (لجعفر بن حرب) كتاب (توبيخ

أبي الهذيل) أشار فيه إلى تكفيره

ومنه (جعفر بن مبشر) الذي يرى أن في فساق هذه الأمة من هم

شر من الجوس ، وأن صفائر الذنوب توجب تخليد صاحباني النار ، وهذا

كما ترى زيادة في التشدد وإيثاس من رحمة الله الذي يقول (لا تقنطوا

من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا ، إنه هو الغفور الرحيم)

ومنه (المزدار) وهو (عيسى بن صبيح) الملقب (براهب المتزلة)

لشدة تقشفه وزهده ، قال بخاق القرآن الكريم وغالى في ذلك حتى كفر

من قال بقدمه ، وقال أن من أجاز رؤية الله بالأبصار بلا كيف فهو كافر

والشاك في كفره كافر ، وقد بنيت قول أهل السنة في رؤية الله وتقدم

القول في مسألة القرآن الكريم

ومنه الحائطية المنسوبون إلى (أحمد بن حائط) أحد أصحاب النظام

وقد قال فيما نقل عنه من الآراء بتناسخ الأرواح ، ولطول الكلام على

التناسخ والحلول (الذي سيأتي ذكره في الشيعة) أرجأت الكلام فيهما إلى

إلى آخر الكتاب ، وقال أيضا بأن كل نوع من الحيوان أمة كالإنسان وفي كل

أمة رسول من نوعه

ولا حجة (لأحمد بن حائط) في قوله تعالى (وما من دابة في

الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من

شيء ثم إلى ربهم يحشرون) ولا في قوله تعالى (وإن من أمة إلا خلا فيها

نذير) فغنى الآية الأولى أن جميع الدواب والطيور طوائف مختلفة مثل

بنى آدم في أنها ذات نُظْم معاشية ، وخطط تجرى على حسبها في السعى

على الرزق ، واتخاذ الحيلة لبقاء النوع ، وسلوك مسالك السداد في حفظ

أمورها بما ألهمها الله من غرائز ترعى بها مصالحها ، وتكف بها الرادى الباغى

على جماعاتها وتختطُّ أحسن الطرق لحياتها الاجتماعية ، وكل ذلك تقدير العزيز العليم ثم هي بعد ذلك تشمل الباغي الذي يسطو على أقوات غيره ويمتدى على حياته وذا الشوكة والذكاء الذي يرد كيد البغاة ، وينظم الأساليب لحياطة نوعه ، والحفاظة على كيانه كما يشاهد في جماعات النحل ، وكل هذه الدواب والطيور سوف ياحقها الفناء بالموت ثم تحشر إلى بارئها ، فيتصف للضعيف من القوى حتى بلغ من عدله تعالى أن يأخذ للجَمَاء من (١) القرناء ثم يستحيل الكل ترابا (وقيل معنى حشر الدواب والطيور فناؤها بالموت) أما أن تكون الدواب والطيور مثل الانسان في احنمال أمانة التكليف والاستماع لشريعة سماوية يوحى بها إلى دابة أو طائر فما لا يجوز العقل سواء أ كان من ناحية عدم استعدادها لقبول ذلك أم من ناحية عدم استعداد بعضها لتلقى الرسالة والدعوة إلى شريعة ذات قواعد وأصول ، ولا قبل لها بذلك نعم قد وصفت الحيوانات بالذكاء وتفاوتت فيه ، ولكن ذلك عائد إلى الفرائز لا إلى العقل (الذي هو الشرط الأول في التكليف وتحمل أعباء الشرائع) ، وقد منع أهل السنة أن تكون النبوة لغير الرجل فما بالك بدابة من دواب الأرض أو طير يسبح في الفضاء ؟ وأما الآية الثانية فالمراد (بالأمة) فيها من سبق أمة نبينا عليه الصلاة والسلام من الأمم الغابرة كقوم عاد وثمود وقوم فرعون وسوام ، كما يفهم من سياق الآية الكريمة وكما يبدو لسكل ذى بصر بالقرآن الكريم ؛ فهي من قبيل ما يساق ليتأسى به النبي (عليه السلام) ولا تذهب نفسه حمسات على من عاندوا وضلوا وعموا عن نور الهدى ، ودعوة الحق ؛ فقديما دعيت أمم على لسان أنبيائها فضات ؛ وقريب منها قوله تعالى (فاعلمك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا) وقوله (فإنما عليك

(١) القرناء ذات القرن والجماء غيرها

البلاغ وعلينا التأسبب) تأمل سياق الآية الكريمة فيما يأتي :
 (ومن تزكى ، فأنا نتزكى لنفسه ، وإلى الله المصير ، وما يستوى الأعمى والبصير
 ولا الظلمات ولا النور ، ولا الظل ولا العرور ، وما يستوى الأحياء ولا
 الأموات ، إن الله يُسمع من يشاء ، وما أنت بمسمع من في القبور ؛ إن أنت
 إلا نذير ، إنا أرسلناك بالحق بشيرا ونذيرا ، وإن من أمة إلا خلا فيها
 نذير ؛ وإن يكذبوك فقد كذب الذين من قبلهم ؛ جاءتهم رسالهم بالبينات
 وبالزُبر وبالكتاب المنير) تأمل هذا السياق ، وانظر قوله تعالى (وإن يكذبوك
 فقد كذب الذين من قبلهم) مع قوله (فأنا نتزكى لنفسه) يتضح لك ما قدمناه
 ويظهر لك خطأ (الحائطية) في احتجاجهم بهذه الآية الكريمة مع بعدها
 الشاسع عما يحاولون .

وأما التجاؤم إلى حديث (لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت
 بقتلها) فلاصلة له بدعواهم فقد بين لك في (شرح الآية الأولى) المعنى الذى
 يطمئن إليه العقل والذوق فى معنى (الأمة) فكل ما فى الحديث الذى تمسكوا
 به الدلالة على رقة قلب النبي عليه السلام وكمال شفقتة ، حتى على غير
 الإنسان ، وهل كون الكلاب (أمة) بالمعنى المعقول الذى أسلفناه يقتضى
 أن يكون لها رسل وأنبياء ؟ !

ومن المعتزلة (عمرو بن بحر الجاحظ^(١)) الذى يقول بأن العباد
 لا يخلدون فى النار وإنما يصيرون من طبيعتها وأن الله لا يدخل
 العباد النار وإنما هى التى تجذبهم إليها . وماذا يقول فى قوله تعالى
 (ونادوا يا مالِك ليقتض علينا ربك قال إنكم ماكثون) فهل يريدون
 بدعائهم شيئا سوى أن يستريحوا من العذاب المقيم وهل معنى رده
 عليهم بأنهم ماكثون إلا أن العذاب لا ينفك عنهم وأنهم باقون فى النار

يصلون عذابها (لا يخفف عنهم وهم فيه مبلسون) (أى آيسون) وماذا يقول في قوله تعالى (خذوه فاعتلوه ^(١) إلى سواء الجحيم) . (يوم يدعون ^(٢) إلى نار جهنم دعاءً) أليس معنى الآيتين أن يساق الكفار سوقاً إلى جهنم . وهل يتفق هذا مع دعوى الجاحظ أنها هي التي تجذبهم إليها ؟

ويقول (الجاحظ) أيضاً إن الله لا يريد المعاصي وهذا شبهه بقول (النظام) إن الله لا يقدر على المعاصي . ويحسن هنا إيراد هذه المحاوره فيها الرد المقنع على دعوى الجاحظ

دخل القاضي (عبد الجبار بن أحمد المعتزلي) على (ابن عباد) وزير (المعز) وعنده الإمام (أبو إسحق الإسفراييني) من أهل السنة فقال (عبد الجبار) سبحان من تنزه عن الفحشاء فقال (أبو إسحق) سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء . فقال (عبد الجبار) أريد ربك أن يعصى ؟ فقال أبو إسحق يعصى ربك قهراً ؟ فقال (عبد الجبار) أ رأيت إن منغى الهدى وقضى على بالردى أحسن إلى أم أساء ؟ فقال أبو إسحق إن منعك ما هو لك فخذ أساء وإن منعك ما هو له فالملك يفعل في ملكه كيف يشاء ؛ فقال الجاحظون ليس بعد هذا جواب

وللجاحظ آراء أخرى لا ضرورة لسردها .

ومنهم أبو علي (الجبائي) وكان يقول إن الله مطيع لعبده إذا فعل ما أراه العبد، وهذا أمر لا يليق بإطلاقه على الله تعالى ، وإنما هو مستجيب لدعوة الداعي لا مطيع لأمره ، وقدما فرقا وبين مفهوم صيغ الطلب فإن كان من الأدنى للأعلى سمي ذمًا وإجابة الدعاء لا تمتد طاعة بل قبولاً وفرق بين الطاعة والقبول ، والجبائي كان أستاذاً للأشعري .

(١) عتقه جذبته بعنف (٢) يدفعون

وكان يقول بوجوب الصلاح والأصلح على الله تعالى وقد كان هذا سبباً في انصراف الأشعري عنه وتركه مذهب الاعتزال وتصدّره لتفنيد آراء المعتزلة مما جعله زعيم أهل السنة وواضع علم التوحيد كما تقدم ومن المعتزلة (البهشية) أتباع (أبي هاشم عبد السلام بن أبي علي الجبائي) الذي يقول إن التوبة لا تصح من فعل قبيح إذا أصّر التائب على فعل آخر يعتقد أنه قبيح ، ولا تصح التوبة من معصية مع الإصرار على منع حبة واجبة وأن توبة الزاني بعد ضعفه عن الجماع لا تصح (وهذا كله تشديد لم يقل به أحد) وإن الصلاة لا تجزىء في الأرض المغصوبة - وطعن في إعجاز القرآن الكريم .

هذا وأول من ساهم المعتزلة (الحسن البصري المتوفى سنة ١١٦ هـ) لما حصل بينه وبين تلميذه (واصل بن عطاء) رأس المعتزلة ذلك الخلاف المشهور في مسألة مرتكب الكبيرة هل هو مؤمن أو كافر ؟ وقال واصل لا مؤمن ولا كافر بل في منزلة بين المنزلتين فقال الحسن (اعتزلنا واصل) فاعتزله من فوره وأخذ ناحية في مسجد البصرة يلقت مذهبه الذي هو الأصل في الاعتزال

والمعتزلة بوجه عام يقولون بقدره العبد واستطاعته ولذلك يسمون أحياناً القدرية^(١) ويقولون بنى صفات المعاني فيقولون الله عالم بذاته قادر بذاته وهكذا فسموا من أجل ذلك (مطالمة) ويشددون التكبير على مرتكبي المعاصي ، فيرون أن من مات غير تائب من كبيرة استحق الخلود في النار ولكن يعاقب بأخف من عقاب الكافر ولا حجة

(١) لفهم القدر نسبوا إليه

للمعتزلة (في دعواهم خلود صاحب الكبيرة في النار) بقوله تعالى (إنه من يأت ربه مجرماً فإن له جهنم لا يموت فيها ولا يحيى ومن يأتته مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلا جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك جزاء من تزكى) فإن المجرم في هذه الآية وغيرها من آي الكتاب العزيز مراد به غير المؤمن أى (الكافر) مخلوده في النار أمر مقرر عند جميع المسلمين وليس المراد به الفاسق من مرتكبي الكبائر ، بدليل قوله تعالى (إن الذين أجمعوا كانوا من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون وإذا انقلبوا إلى أهلهم انقلبوا فكهين وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون وما أرسلوا عليهم حافظين : فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون) فوصف المجرمون في هذه الآية بأنهم يقولون للمؤمنين (إن هؤلاء لضالون) يريدون أن المؤمنين ليسوا على حق فيما يعتقدون ، وهل معنى ذلك إلا أنهم مخالفون للمؤمنين في الاعتقاد ؟ وذلك هو الكفر الصريح ؛ ثم إن مقابلة المجرمين (بالكفار) في نهاية الآية دليل قاطع على كفرهم ، وقد حكى الله أوصاف المجرمين في آية أخرى بقولهم (لم نك من المصاين ولم نك نطم المسكين وكنا نخوض مع الخائضين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين) فهم كانوا غير مسلمين وكانوا يكذبون بيوم الدين حتى أتاهم اليقين (وهو الموت) وهذا أوضح الأدلة على كفر المجرمين وهكذا ترى القرآن الكريم جرى على التعبير عن الكفار بالمجرمين في مواطن كثيرة ، وبذا ينقطع ما تمسك به المعتزلة من دعوى خلود أصحاب الكبائر في النار

ويبالغ المعتزلة كثيراً في حسن الظن بالعدل حتى جعلوه قادراً واحداً على معرفة كل الحقائق وتعرف وجوه الحسن والقبح في الأشياء قبل

ورود الشرع فالحسن عندهم ما حسنه العقل والقيح ما قبَّحه ، ويوجبون
إرسال الرسل عليه تعالى

٣ - المرجئة

هم الذين يبالغون في إثبات الوعد (عكس المعتزلة المبالغين في إثبات
الوعيد) يرجون المغفرة والثواب لأهل المعاصي ، ويُرجئون حكم أصحاب
الكبائر إلى الآخرة فلا يحكمون عليهم بكفر ولا فسق ، يقولون إن
الإيمان إنما هو التصديق بالقلب واللسان فحسب ، وإنه لا يضر مع الإيمان
معصية كما لا ينفع مع الكفر طاعة

ويقال إن أول من قال بالإرجاء (الحسن بن محمد بن محمد بن الحنفية) ولكنه
لم يؤخر العمل عن الإيمان ، بل قال إن أداء الطاعات وترك المعاصي ليسا
سمن الإيمان فلا يزول بزوالها ، وظاهر من هذا أنه لا يذهب مذهب المرجئة
من كل وجه وقيل أول من وضع الإرجاء بالبصرة (حسان بن بلال المزني)
-وقيل (أبو سلت الحمان) المتوفى سنة ١٥٢ هـ

ومن المرجئة طائفة الثوبانية أتباع (ثوبان) المرجيء الخارجي الذي
يقول إن الإيمان هو المعرفة والاقرار ثم يقول أن الإيمان فعل
-ما يجب في العقل فعله (وهو هنا يقول بمذهب المعتزلة)

وأنت خير بما في مذهب المرجئة من تقريط ، وما في مذهب المعتزلة
من أفراط ، وما في مذهب أهل السنة والجماعة من اعتدال وتوسط . روى
أنه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم (من هم المرجئة يارسول الله؟ فقال

(هم الذين يقولون الايمان كلام) أى أنهم لا يعيرون العمل أقل اهتمام ،
وقد أسلفنا رأى أهل السنة فى العمل وأنه (شرط لجمال الايمان)

٤ - الشيعة

هم الذين شايعوا سيدنا عليا كرم الله وجهه ورأوه أحق بالخلافة
وكرهوا أبا بكر وعثمان رضى الله عنهم كما كرهوا معاوية والسيدة عائشة —
أظهروا بدعتهم زمن عثمان وعلى رأسهم (عبد الله بن سبأ) وهو يهودى
أسلم وغلا فى حب على حتى قال بالحلول فزعم أن روح الله حل فيه وأنه
أحق بالخلافة لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم ففتناه عثمان ، وقد
غلا بعض الشيعة فى حب سيدنا على حتى قالوا له (أنت الإله) وقيل إنه
أحرق منهم قوما ونفى رأسهم (ابن سبأ) إلى (المدائن)
وسمى الشيعة فيما بعد (روافض) لأن (زيد بن على بن الحسين)
امتنع عن لعن الشيخين (أبى بكر وعمر) وقد طلبوه منه حتى يظلموا على
نصرتة وهو محارب لهشام بن عبد الملك ، فقالوا نحن ماخرجنا معك إلا
لذلك ورفضوا رأيه وانفضوا من حوله فسموا (روافض) وقيل لأنهم
رفضوا رأى الصحابة فى الشيخين والمؤدبى واحد وافترقت الشيعة على
ففرقت شتى منها :

الزيدية — وهم يقولون بامامة (زيد بن على بن الحسين) ، ومنهم فرقة
تسمى (الجارودية) أتباع (أبى الجارود) زعمت أن النبي عليه السلام نص
على إمامة على بالوصف دون الاسم ، يشيرون بهذا إلى قوله عليه السلام
يوم آخى بين المهاجرين والأنصار لسيدنا على (أنت منى بمنزلة هرون من
موسى) وكانوا يقولون كل من شهر سيفه ودعا إلى دينه من ولد الحسن
والحسين فهو الأمام .

والإمامية - ويقول أكثرهم بأن الإمامة في علي وأولاده بنص النبي عليه السلام وهم فرق شتى

والكيسانية - أتباع (كيسان) مولى (علي بن أبي طالب) ويقولون إن (محمد بن الحنفية) حي لم يميت وأنه المهدي المنتظر، ومنهم كثير الشاعر الذي لخص مذهبهم في قوله :-

ولاة العهد أربعة سواء	الأئمة من قريش
هم الأسباط ليس لهم كفاء	علي والثلاثة من بنيه
وسبط غيبته كـربلاء	فسيط سبط إيمان وبر
يقود الجيش يتبعه اللواء	وسبط لا يذوق الموت حتى
برضوى عنده غسل وماء	تغيب لا يرى عنهم زمانا

يريد بالأخير (سيدنا محمد بن الحنفية)

والغلاة من الشيعة - قالوا بالوهمية الأئمة واستباح بمض طوائفهم المحرقات وقالوا بمذهب الحلول (الذي سنعرض له بالرد آخر الكتاب) زاعمين أن روح الله حلت في الأئمة ومن هؤلاء (السبئية) أتباع (ابن سبأ) الذين قالوا إن (علياً) رضوان الله عليه حي لم يميت وزعموا أن الرعد صوته والبرق سوطه ، وكانوا ية قولون إذا سمعوا الرعد (وعليك السلام يا أمير المؤمنين) وأحدثوا القول برجعة (علي) إلى الدنيا ، وبرجعة (الرسول عليه السلام) بعد موته .

ومن الغلاة من زعموا أن روح الله دارت في الأنبياء حتى صارت في (بيان بن اسماعيل التميمي) وأصحاب هذا الرأي يسعون (اليانبيه) ويزعمون أن الإمامة صارت إلى (بيان) بعد (بن الحنفية) بوصية منه فيقولون بتناسخ روح الله تعالى دون أرواح العباد ، وقد صلب (خالد بن عبد الله القسري) ،

والى العراق (بياناً) هذا

ومنهم (الجناحية) أتباع (عبد الله بن معاوية ذى الجناحين) كانوا
يعتقدون أن روح الله دارت فى الأنبياء كما كانت فى على وأولاده وزعموا
أن كل ما فى القرآن من تحريم الميتة والحمر ولحم الخنزير كناية عن قوم
من أعداء (على)

ومنهم أيضا (المفوضه) ينسب إليهم القول بأن الله خلق محمدا عليه
السلام وفوض إليه خلق العالم وتدبيره وقال بعضهم بل كان التفويض إلى
(على كرم الله وجهه)

وأنت ترى فى مذهب الشيعة جميعا التعصب لسيدنا على وذريته
وبغض الخلفاء من قبله وكراهة كل من ناواه ومنهم من غلا فى حب (على)
وبغض غيره حتى زلت به القدم ، فقال بالحلول والتناسخ — وسند كرفيما
بمد طائفتين من الغلاة هما (الباطنية والقرامطة ومن إليهم) ونبين ما فى
مذاهبهم من تطرف وزندقة وخروج على الدين .

هذا وقد تعصب لمذهب الشيعة دولة (آل بويه) التى قامت ببغداد
سنة ٣٣٤ هـ ودولة الفاطميين التى ملكت مصر سنة ٣٥٨ هـ وكانتا تدينان
برأى الشيعة فسعتا فى نشر دعوتهم ولقى الشيعة فى ظلال هاتين الدولتين
حظا كبيرا فانتشر رأيهم لذلك العهد ببلاد المغرب ومصر والشام والعراق
واليمن والحجاز ، ولا تزال لهم جمهرة كبيرة بالجهاز الشرقية فى العراق
وفارس ولازيدية منهم بقية كبيرة ذات سلطان ودولة فى بلاد اليمن وللإسماعيلية
جمهرة كبيرة ببلاد الهند .

٥ - الخوارج

لما طلب (معاوية) وأصحابه في صِفِّين^(١) من سيدنا (علي) أن يتحاكم الفريقان إلى القرآن الكريم سنة ٣٧ هـ تردد سيدنا (علي) في قبول دعوتهم غير مطمئن إلى ما قد تنطوي عليه من دهاء وحيلة يراد بهما تثبيط العزائم وتفريق كلمة جنده وأعدائه فحمله أصحابه على القبول ، فقبله نزولاً على رأيهم حتى لا يؤدي الرفض إلى الافتراق

روى (أن الأشعث بن قيس) و (مسعود بن فدكي التميمي) و (زيد بن حصين الطائي) قالوا لسيدنا (علي) : الناس يدعوننا إلى كتاب الله وأنت تدعوننا إلى السيف ! فلترجمن (الأشتر) عن قتال المسلمين أو لنفعلن بك ما فعلنا (بعمان) فأمر (الأشتر) بالكف عن القتال بعد أن كان النصر معقوداً بلوائه ، ثم أراد أن ينيب عنه في الحكومة^(٢) (عبد الله ابن عباس) فلم يرضوا بذلك وقالوا (هو منك) وحملوه على بعث (أبي موسى الأشعري) على أن يحكم بكتاب الله ، ولما جرى الأمر على خلاف الحق رفض قبول حكم الحكّامين ، فخرج عليه فريق من أصحابه وقالوا لماذا حكمت الرجال ؟ لاحكم إلا لله . فقال الامام (علي) (كلمة حق يراد بها باطل ، إنما يريدون لا إمارة ولا بد من إمارة برّة أو فاجرة) ثم لجوا في إنكارها وانحازوا إلى (أحروراه)^(٣) في جمهرة عظيمة وأعلنوا بذلك خروجهم على (علي ومعاوية) والحكّامين وكل من رضى بالتحكيم ، فكانوا هم نواة (الخوارج) وعندهم أخذ غيرهم فكانوا خطراً يهدد جماعة المسلمين ، ووقعت بينهم وبين (علي ومعاوية وابن الزبير وعبد الملك والمأمون) وغيرهم حروب

(١) موضع على شاطئ الفرات بقرب الرقة (٢) قضاء الحكّامين (٣) قرية بظاهر الكوفة

شعواء . أنت على عدد كبير من المسلمين ، وشردت فلول الخوارج في الآفاق وهم مع كل هذه الحروب وذلك النكال كانوا أشد تمسكا بدعوتهم . ويغضوا لمخالفهم ، وعناداً في القول ، وصلابة في الرأي ، واستبسلاً في القتال .

ولم يقف بهم هذا الخروج وتلك الثورة عند مخالفة (علي ومعاوية) ومن والاها ، بل تطرق إلى العقائد يستخدمونها في تكثير جموعهم ، والتنفير من مخالفهم ؛ فكانوا يرون تكفير من عداهم ، ووجوب الخروج على كل إمام جائر ، ويعدون مخالفهم كفاراً ؛ بل غلبا بمذهبهم فكفر أبناء المخالفين . واستحل قتل النساء والأطفال ؛ فالقوم كما ترى تآزروا على الجماعة يرون الحق في جانبهم والباطل عند غيرهم . وبنوا على ذلك مذاهبهم الجاحمة وتعرضوا في هذه السبيل إلى كل محنة وكل نكال : من أسر وتقتيل ، وتشريد واضطهاد ؛ وهم مع ذلك أرضى ما يكونون نفوساً ، وأسبق الناس إلى لقاء الموت ، يحسبون الجنة تحت بروق السيوف ، ويرون أنهم شرّوا آخرتهم ، بدنياهم حتى سموا أنفسهم (الشراة)

ومن عجب أن يكونوا في المبدأ من الحاملين لسيدنا (علي) على قبول التحكيم ثم تكون نتيجة قبوله عليه السلام سبباً لهذا العداة الذي أظهره له ولجأ فيه

وقد حاول سيدنا (علي) أن يردهم إلى جماعته فأرسل إليهم (عبدالله بن عباس) ليناظرهم لعلمهم يرجعون ، فقال (ابن عباس) :

ما الذي نقتم على أمير المؤمنين ؟ قالوا قد كان للمؤمنين أميراً فلما حكم في دين الله خرج من الإيمان فليتب بعد إقراره بالكفر نعد له . فقال (ابن عباس) لا ينبغي لمؤمن لم يشب إيمانه شك أن يقر على نفسه بالكفر .

قالوا إنه قد حَكَمَ ، قال إن (الله) عز وجل قد أمرنا بالتحكيم في قتل
 صيد الحرم فقال عز وجل (يحكم به ذوا عدل منكم) فكيف في إمامة قد
 أشكلت على المسلمين؟ فقالوا إنه قد حُكِمَ عليه فلم يرض . فقال إن الحكومة
 كالإمامة ومتى فسق الإمام وحبب معصيته وكذلك الحكمان لما خالفا
 نبذت أفا وبلهما . فقال بعضهم لبعض : لا تجملوا احتجاج قريش عليكم فإن
 هذا من القوم الذين قال الله فيهم (بل هم قوم خصمون) وقال (لتذرب
 قوما لُدًّا) . فأنت ترى من هذا أن القوم حريصون على دعوتهم لا يبيدون
 عنها وأنهم يمارون في الحق بمد ما تبين لهم وأنهم تناهوا عن مناظرة (ابن
 عباس) حتى لا يفسد عليهم بحجته ما تطلعت إليه نفوسهم الجانحة من
 الخروج والثورة

وقد سلك معهم (سيدنا علي) كل وسائل الإقناع والمسالمة رغبة في
 جمع الكلمة ، وحاجتهم بنفسه محاجة عظيمة ، فلم يرجع منهم إليه من بحروراء
 سوى القليل ، ومع ذلك أمسك عن مناواتهم وقال لا أقاتلهم حتى يقاتلوني
 (وسيفعلون) وظل خارجا عليه بحروراء نحو أربعة آلاف ، وكان الإمام
 عليهم (عبد الله بن الكواء) وقال لهم متى كانت حرب فرئيسكم فيها (شبت
 ابن ربيعي الرياحي) فلم يزالوا على ذلك يومين حتى أجمعوا على البيعة (لعبد الله
 ابن وهب الراسي) ومضوا معه إلى النهروان (١) .

ثم قاتلهم (علي) (بالنهروان) قتالا شديدا بعد ما قتلوا
 (عبد الله (٢) بن الحُبَّاب بن الأرت) وبقروا بطن امرأته وطلب منهم

(١) كورة واسعة بين بغداد وواسط واسم لمدينة صغيرة في الشمال الشرقي لبغداد
 واسم نهر يشقها ، ولذلك تسمى موقعة (النهروان) أحيانا موقعة (النهر)

(٢) قتله الحرورية حين لقوه في طريقهم الى النهروان وسألوه رأيه في الصحابة
 مخالفهم وكانت قتلته شنيعة والمصحف معلق بعنقه ، وامرأته حبلية (مقرب) أي قاربت الوضع

تسليم قاتله فقالوا كلنا قتله ، قيل إنه أفى منهم في حرب النهروان ثلاثة آلاف ، وكانت جموعهم قد كثرت فبلغوا اثني عشر ألفا كلهم أهل صلاة وحدث في خلال الحرب أن قتل رجل من الخوارج ثلاثة من أصحاب علي وهو في خلال ذلك يقول

أقتلهم ولا أرى عليا ولو بدا أوجرتة الخطايا^(١)

فحمل عليه سيدنا (علي) فلما خالطه السيف قال حبذا الروحة الى الجنة ، وهذه العبارة تدل على مكان الاقتناع من نفوسهم ، ثم بعد وقعة النهروان أمر الخوارج أنفسهم وقالوا إن عليا ومعاوية قد أفسدا أمر هذه الأمة فلو قتلناهما لعاد الأمر إلى نصابه ، وقال واحد منهم والله ما (عمرو) دونهما وإنه لأصل هذا الفساد وأجمعوا أمرهم على أن يكون قتل الثلاثة في ليلة واحدة وكان من نتائج المؤامرة أن قتل سيدنا (علي) بيد (عبد الرحمن ابن ملجم) سنة ٤٠ هـ فقال فيه أحد شمراء الخوارج الصفرية عمران ابن حطان

يا ضربة من تقي ما أراد بها إلا يبلغ من ذى العرش رضوانا
إني لأذكره حيناً فأحسبه أوفى البرية عند الله ميزانا

شجاعة الخوارج

كان الخوارج مضرب الأمثال في الشجاعة والاقدام ، ولم تكن نساؤهم بأقل من رجالهم جراءة وشجاعة : روى أن امرأة من نساؤهم تسمى (البجاء) كانت في أيام (عبيد الله بن زياد) جاءها مرداس^(٢) بن حدير) ونصح لها

(١) أنفذت فيه الرمح

(٢) من رهوس الخوارج الصفرية

أن تأخذ بالحِطَّة والتَّقِيَّة^(١) لتأمن بطش الأمير فقالت (إن يأخذني فهو أشقى بي، أما أنا فما أحب أن يُعَنَّت^(٢) لإنسان بسببي) ثم قطع (ابن زياد) يديها ورجليها ورمى بهن في السوق فربها أبو بلال (مرداس بن حدير) وكان ورعا يرى رأى الخوارج ويتحصن بالتقية والحذر وأمسك ببلحيته وقال لنفسه (لهدبه أطيّب نفسا عن بقية الدنيا منك يا مرداس)

ولوشئت واتسع لي المقام لجتتك بشيء كثير من أخبار حروبهم وشجاعتهم ولكن أكتفي بأن أقول : أن تلك الحروب دلت على تقاني القوم في عقيدتهم وعلى أن البسالة والتضحية ليستنا قصرا على الرجال منهم دون النساء .
وأليك قليلا من أمثلة ذلك :

روى أن أحد الخوارج طعن بالرمح فجعل ينزلق عليه ساعيا الى طاعنه وهو يقول (وعجبتك أليك رب اترضى)

وأن (حوثره الأسدي) خرج فيمن خرجوا على « معاوية » فتوسل (معاوية) له بأبيه أن يكف عن الخروج فأتى إليه أبوه بولده لعله يمن فيعود فقال (يا أبت أتى الى طمئة نافذة أنقاب فيها على كعب رمح أشوق منى الى ولدي) فلما التقى الجمعان طلب منه أبوه أن يبارزه فقال يا أبت لك في غيري متدوحة ولي في غيرك عنك مذهب . فقتله رجل من طيء فرأى أثر السجود قد لوّح جبهته .

وجيء إلى زياد بن أبيه (بمرودة بن أديّة) وهو أول من سب سيفا من سيوف الخوارج وكان قد نجما من (واقعة النهروان) وجيء معه بهولى^(٣) له فسأله (زياد) عن أبي بكر وعمر فقال خيرا، وعن (عثمان) فأحسن

(١) الاحتياط والحذر والتستر

(٢) يلقى مشقة وأذى وعنتا

(٣) خادم

القول فيه ست سنين من خلافته ثم شهد عليه بالكفر فيما بعدها ، وعن
 (علي) فأحسن الرأي فيه حتى حَكَّم ثم أكفره وعن (معاوية) فسببه سبا
 قبيحا ثم سألَه زياد عن نفسه فقال (أَوَّلَكَ لِزِنْيَةٍ ^(١)) وآخِرَكَ لِذِعْوَةٍ ^(٢)
 وأنت بعد عاص لربك) فأمر به زياد فضرب عنقه ثم دعا مولاه فقال
 صف لي أموره فقال آؤظنب أم أوجز ؟ فقال بل أوجز فقال : ما أتيت به بطعام
 بنهار قط ، ولا فرشت له فراشا بليل قط ^(٣)

ويروى أن (عبيد الله بن زياد) تتبع الخوارج وحبس منهم أبا بلال
 (مرداس بن حدير) وكان في أول أمره يأخذ بالتقية كما كان معظما في الخوارج
 مجتهدا كثير الصواب فرق له السجن لما رآه من حسن لفظه وشده عبادته
 فكان يطلقه بالليل على أن يعود له آخره ومضى على ذلك زمنا ثم رأى
 (ابن زياد) أن يقتل من في سجنه منهم فأخرج السجنان (مرداسا) جريا
 على عادته ثم بلغ مرداسا ما صمم عليه الأمير فتأهب للعودة إلى السجن فقال
 له أهله : اتق الله في نفسك فانك إن رجعت قتلت . فقال إني ما كنت
 لألقى الله غادرا ثم شفع له السجنان (وهو أخو زياد من الرضاع) فنجوا وكان
 له شأن ستعرفه فيما بعد

وأنى رجل من الخوارج إلى (عبد الملك بن مروان) فبحثه فوجده
 ماشاء فهما وعلما وأربا ودَهِيَّ ^(٤) فرغب فيه واستدعاه إلى الرجوع عن
 مذهبه فرآه مستبصرا محققا فزاده في الاستدعاء فقال له لتفك الأولى عن
 عن الثانية وقد قاتت فسمعت فأسمع أقل قال له قل فجعل يبسط له قول

(١) زنى

(٢) ادعاه يشير إلى ادعاء معاوية له والحاقد بنسبه

(٣) يعني أنه قائم الليل صائم النهار

(٤) المنكر وحودة الرأي

الخوارج ويزين له من مذاهبهم بلسان طلق وألفاظ بينة ومعان قريبة فقال عبد الملك لقد كاد يوقع في خاطري أن الجنة خلقت لهم واني أولى بالجهاد منهم ثم رجعت إلى ما ثبت الله على من الحجّة وقرر في قلبي من الحق فقلت له لله الآخرة والدنيا وقد سلطى الله في الدنيا ومكن لنا فيها وأراك لست تجيب بالقول والله لا تقتلنك إن لم تطعم فأنا في ذلك إذ دُخِل على بابي (مروان) بأكيا لضرب المؤدب إياه^(١) فشق ذلك على عبد الملك فاقبل عليه الخارجي فقال دعه يبكي فإنه أرحب لشدقه ، وأصح لدماغه وأذهب لصوته ، وأحرى ألا تأبى عليه عينه إذا حضرته طاعة ربه فاستدعى عبرتها فاعجب عبد الملك بذلك وقال له أما يشغلك ما أنت فيه عن هذا ، فقال ما ينبغي أن يشغل المؤمن عن قول الحق شيء فأمر عبد الملك بحبسهم وصفح عن قتله وقال لولا أن تفسد بالفاظك أكثر ريعتي ما حبستك ثم قال من شككني ووهمني حتى مالت بي عصمة الله فغير بعيد أن يستهوى من بعدى

بعض مفارقات الخوارج

وكان للخوارج مفارقات عجيبة فهم يفرقون في المعاملة تفريقا مدهشا بين المسلم وغير المسلم فيستبيحون دم الأول ويحتفون بالثاني ، جاءهم مرة رجل مسلم فسألوه رأيه في الصحابة من بعد عمر فلما لم يوافقهم سفكوا دمه ، وجاءهم في نفس الوقت نصراني فأكرموه وقالوا (احفظوا ذمة نبيكم) وروى أن « واصل عطاء^(٢) » أقبل في رفقة من أصحابه فلما أحسوا الحرورية ذعروا منهم لشدة ما قد فؤوا من الرعب في القلوب فقال (واصل) لأصحابه إن هذا ليس من شأنكم فدعوني وإياهم ثم سأله الخوارج ما^(٣) أنت وما

(١) قال من روى هذه القصة : فشق ذلك على عبد الملك . . . إلى آخرها

(٢) رأس المعتزلة

(٣) ما حقيقة مذهبك ومذهب أصحابك ؟

أصحابك؟ قال : مشركون^(١) مستجيرون ليسمعوا كلام الله فقالوا (قد أجرناكم قال (فعلمونا) فعملوا يعلمونهم أحكامهم وجمعل يقول (قد قبلنا) قالوا (فامضوا مصاحبين فانكم إخواننا) قال (ليس ذلك لكم) قال الله تعالى (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه) فأبلغونا مأمننا فنظر بعضهم إلى بعض ثم قالوا (ذلك لكم) ثم أرسلوا معهم من أبلغهم مأمنهم ، وليس لهذه المفارقات من سبب إلا إيمانهم في بغض جماعة المسلمين ورسوخ هذا المبدأ في نفوسهم

شعراء الخوارج وخطبائهم

وكان للخوارج شعراؤهم وخطبائهم وإنك إذ تقرأ كلامهم تُحسُّ فيه قوة العقيدة ، وصدق الشعور ، والبعد من الرياء والتكاف ، شأن كل كلام يُصدره قائله عن يقين بما يعنيه ، وإخلاص فيما يقول ؛

فمنهم (قطري ، بن الفجاءة) الذي يقول مشيداً بذكر يوم (دولاب) من أيام حروب الأزارقة المشهورة : —

لعمرك إني في الحياة لزاها وفي العيش مالم ألق أم حكيم^(٢)
من الحفريات البيض لم يُر مثاها شفاء لذي بث ولا لسقيم
ولو شهدتنا يوم دولاب أبصرت فعال قتي في الحرب غير ذميم
غداة طفت عداء^(٣) بكر بن وائل وُججنا صدور الخيل نحو تميم
وظلت شيوخ الأزد^(٤) في حومة الوغى تعوم وظلنا في الجلال نعوم

(١) هم مسلمون ولكنها حيلة منه للخلاص من شرهم

(٢) زوجه

(٣) على الماء

(٤) قوم المهلب

فلم أريوما كان أكثر مقصصاً^(١) يبيع دما من قائلظ^(٢) وكليم
فلو شهدتنا يوم ذاك وخيلنا تبسح من الكفار كل حريم
رأت فتية باعوا الآله نفوسهم بجنات عدن عنده ونعم
وهو الذي يقول مستحثا (لأبي خالد القناني) وكان من قعد الخوارج
يدعوه إلى الاحق بهم: —

أبا خالد أقبل فلست بخالد^(٣) وما جعل الرحمن عذرا للقاعد
أترزم أن الخارجي على الهدى وأنت مقيم بين لص وجاحد؟!
أنظر كيف كان نظره إلى خصمه؟ فجعلهم ما بين لص وجاحد!!
وكيف جعل القعود عن متابعة الخوارج كالقعود عن الجهاد في سبيل الله؟
ومن كلامه يشجع نفسه: —

أقول لها وقد طارت شماعا من الأهوال ويحك إن تراعى
فإنك لو سألت بقاء يوم على الأجل الذي لك إن تطاعى
وما للمرء خير في حياة إذا ما عد من سقط المتاع
ومنهم (أبو خالد القناني) المتقدم ذكره وهو الذي يقول رداً على دعوة
(قطرى) مبدياً عذره في القعود: —

لقد زاد الحياة إلى حبا بناتي إنهن من الضمايف
أحاذر أن يرين البؤس بعدى وأن يشربن رنقا غير صاف
وأن يفزبن إن كسى الجوارى فتنبو العين عن كرم عجاج
ومنهم أبو بلال (مرداس بن حدير) الذي يقول: —
أبعد ابن وهب ذى النزاهة والتقى ومن خاض في تلك الحروب المهالك

(١) مصرعا يضرب فيه الرء فيموت لساعته

(٢) ميت وجريج

(٣) في الكامل (بانقر) على أن (يا) للتنيه ولا بأس بأن يوضه بدلها أقبل

أحب بقاء أو أرجى سلامة وقد قتلوا (زيد بن حصن) و(مالكا)؟
 فيارب سلم نيتي وبصيرتي وهب لي التقي حتى ألاق أولئكا
 ويقول أيضا في السبب الذي حمله على الخروج بعد أن كان من القعد^(١)
 الآخذين بالتقية :-

والله ما يسمننا المقام بين هؤلاء الظالمين تجرى علينا أحكامهم مجانبين
 للعدل مفارقين للفضل ، والله إن الصبر على هذا لعظيم ، وأن تجريد السيف
 وإخافة السبيل لعظيم ، ولكننا نتبذ عنهم ولا نجرد سيفا ولا نقاتل إلا
 من يقاتلنا

ومن شعرائهم أيضا (عمران بن حطان) الذي اختفى من وجه
 عبد الملك بن مروان حقة طويلة من الزمن وكان كلما نزل بقوم انتسب
 إليهم نسبا يقربه منهم حتى إذا عرفوه رحل عنهم ، وهو الذي يقول في
 رثاء (مرداس أبي بلال) :-

يا عين بكى لمرداس ومصرعه يارب مرداس اجعلني كمرداس
 تركتني هانما أبكي لمزئتي في منزل موحش من بعد ايناس
 أنكرت بعدك من قد كنت أهرفه ما الناس بعدك يا مرداس بالناس
 ويقول مخاطبا روح بن زنباع (من خاصة عبد الملك) وقد نزل عنده
 متخفيا ثم افتضح أمره فأرتمل خفية وترك وراءه رقعة مكتوبا فيها :-

ياروح كم من أخى مثوى نزلت به قد ظن ظنك من لحم وغسان
 حتى إذا خفته فارقت منزله من بعد ما قيل عمران بن حطان
 قد كنت جارك حولا ما تروعني فيه روائع من أنس ومن جان
 حتى أردت بي العظمى فأدركني ما يدرك الناس من خوف ابن مروان^(٢)

(١) هم القاعدون الذين لا يباحقون بالحیوش لعذر أو غير عذر

(٢) عبد الملك

فاعذر أخاك (ابن حطان) فإن له في النائبات خطوباً ذات ألوان
 يوماً يمان^(١) إذا لاقيت ذا يمن وإن لقيت معدياً فعدنانى^(٢)
 لو كنت مستغفراً يوماً لطافية كنت المقدم فى سرى وإعلانى^(٣)
 وما زال ينتقل من قوم إلى قوم حتى انتهى إلى قوم من الأزد فكت
 فيهم حتى مات

ومنهم (أبو حمزة يحمى بن عوف المختار الأزدي) وكان من نُسَّاك
 الاباضية وتنقل بين اليمن والحجاز والشام وقتل سنة ١٣٠ هـ وهو القاتل
 من خطبة له بمكة . —

(يا أهل مكة تميروني بأصحابي ! تزعمون أنهم شباب^(٤) وهل كان
 أصحاب رسول الله إلا شباباً وشبابٌ والله مُكْتَهَلون فى شبابهم ، غَضِيضَةٌ^(٥) عن
 الشر أعينهم ، ثقيلة عن الباطل أرجلهم ، أنضاه^(٦) عبادة ، وأطلاح^(٧)
 سهر فنظر الله إليهم فى جوف الليل منحنية أصلاً بهم على أجزاء القرآن ،
 كلما مر أحدهم بأية من ذكر الجنة بكى شوقاً إليها ، وإذا مر بأية من ذكر النار
 شقق شهقة كأن زفير جهنم بين أذنيه) إلى أن قال (وأكلت الأرض
 ركبهم وأنوفهم وجباههم ، واستقلوا ذلك فى جنب الله ، حتى إذا رأوا
 السهام قد فوّقت^(٨) ، والرماح قد أشرعت^(٩) ، والسيوف قد أنضيت^(١٠)
 ورعدت الكتيبة بصواعق الموت وبرقت استخفوا بوعيد الكتيبة لوعيد

(١) منسوب إلى اليمن (٢) لأن عدنان أبو معد

(٣) لا يرضى أن يستغفر له حتى بعد ما آواه حولا !!

(٤) شباب الأولى والثانية والثالثة جمع شباب والرابعة مصدر شب

(٥) مخفوضة والمراد مصروفة عن الآثام (٦) جمع نضوب كسر أوله وهو الهزيل المتعب

(٧) جمع طلع وهو مثل نضو (٨) ركبت فى القسى ليرمى بها

(٩) صوت (١٠) استلت

الله ومضى الشباب منهم 'قدماً حتى اختلفت رجلاه على عنق فرسه ،
وتخضبت بالدماء محاسن وجهه ، فاسرعت اليه سباع الأرض وانحطت
إليه طير السماء فمك من عين في منقار طير بكى صاحبها في جوف الليل من
خشية الله)

أسماء الخوارج

وللخوارج أسماء عدة منها (المحكمة الأولى) وهم أول طائفة خرجت
على سيدنا علي وقالوا (لاحكم إلا الله) ومنها (الثبراة) لقولهم نحن شرينا (١)
أنفسنا لدين الله ، أو شرينا الآخرة بالدنيا ، ومنها (الناصبة) لأنهم نصبوا
العداء لسيدنا علي وأقاموا عليه (والحرورية) باسم أول فرقة خرجت إلى
(حروراء)

فرق الخوارج

هذا والخوارج بعد المحكمة الأولى فرق شتى منها :

١ - (الأزارقة) أتباع (أبي راشد نافع بن الأزرق) الملقب بأمير
المؤمنين كان من أعلم الناس بفقهِ الخوارج ، وفرقتهم من أجلد فرق الخوارج
وأصلها عوداء ، وأكثرها عدداً ، وأطولها مدة ، وأكثرها أيام حرب
وأشهرها مواقع ، وأشدّها تطرفاً ، وهم بعد (المحكمة الأولى) كقطب
الرحى للخوارج كان خروجهم جهة الأهواز من فارس ثم انضم إليهم
خوارج عمان واليمن وبلغ عددهم أكثر من عشرين ألفاً وكان (نافع) يرى
أن كل من خالفوه مشركون ويستحل قتلهم وقتل نسايتهم محتجاً بقوله
تعالى (وقال نوح رب لاتذر على الأرض من الكافرين دياراً إنك إن

(١) بعناها ووهبناها لله

تذره يضلوا عبادك ، ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً) وهذا منه غلو عجيب
وتحميل للآية الكريمة مالا تطيق ، فالآية قبل كل شيء في سياق الكفار
من قوم نوح ، ووصف الكفر أبعد ما يكون من جماعة المسلمين ، ثم لم
يقف هو وفرقته عند ذلك بل قال الدار دار كفر (يريد دار المخالفين) إلا
من أظهر إيمانه ، ولا يحل أكل ذبائحهم ولا تناكحهم ولا توارثهم ، ومن
جاء منهم فعلينا أن نمتحنه ، وهم ككفار العرب لا يقبل منهم إلا الإسلام أو
أبو السيف وكان هو وأصحابه يقيمون الحد على من يقذف الحصنات لا
على من يقذف الحصن ، وكانوا يقطعون يد السارق في القليل والكثير
وتولى حربهم كثير من قواد العرب وكان أشدهم على الأزارقة (المهلب
ابن أبي صفرة) شتت جموعهم وطهر الأرض من شرورهم ، بعد حروب
دامت نحو عشرين سنة وقد قتل نافع بن الأزرق في إحدى وقائعها فتولى
بإمده (قطري بن الفجاءة) ثم قتل في واقعة بينه وبين سفيان بن الأبرد
بشعب من شعاب طبرستان سنة ٧٧ هـ ، وانتهت بقتله حروب الأزارقة
واستراح الناس من شر مستطير . وقيل إن أول قاتل بكفار القعد
وامتحاق المسلم عبد ربه الكبير ، وقيل عبد ربه الصغير ، وقيل عبد الله
ابن الوضين

هذا والمهلب تولى حروب الأزارقة أولاً من قبل (عبد الله بن الزبير)
ثم لما استتب الأمر لعبد الملك بعد قتل ابن (الزبير) أسند أمر الخوارج إلى
الحجاج فآقر المهلب على حرب الأزارقة فكان صاعقة عليهم وصارت له
المنزلة العليا عند بني أمية

قدم على الحجاج فأجلسه بجانبه وبالغ في الحفاوة به ثم قال له : أنت
سوالله كما قال (لقيط الأيادي) : —

وقلدوا أمركم الله دركمم رَحِبَ الذراعِ بأمر الحرب مضطلما
 لا يَطعمُ النَوْمَ إلا رَيْثَ يبعثه هـ-مٌ يكادُ حِشاهُ يَقصمُ الضلَمَا
 لا مُتَرَفًا إن رَخاءَ العيشِ ساعده ولا إذا عَضَّ مَكروهٌ به كُخشعا
 لا زال يَجلبُ هذا الدهرُ أشطرَه يَكُونُ متبعا طورًا ومتبعا
 حتى استمرت على شزرٍ (١) مريرته (٢) مستحکم الرأى لا قَحْمًا (٣) ولا جزعا

ومما يجمل ذكره هنا قول (عرهم) الشاعر ينصح (خالد بن عبد الله
 ابن خالد بن أسيد) وإلى البصرة بالألا يرسل إلى الأزارقة أخاه
 (عبد العزيز) وأن يرسل إليهم (المهلب). فن حديثه: (إن الأزارقة
 ذؤبان العرب وسباعها، وليس صاحبهم إلا المباكر المناكر المحرّب (٤) المحرّب
 الذى ارضعته الحروبُ بلبانها وذلك هو أخو الأزد (المهلب بن أبي صفرة)
 فلما لم يطاوعه وهزمت الأزارقة أخاه وسبوا زوجه وكرضوها للبيع قال
 يعرض بهذه الحالة: —

لعمري لقد ناجيت بالنصح خالدا وناديته حتى أبى وعصانيا
 وقلت الحورويون من قد عرفتهم حماة كُماة يضربون الهواديا (٥)
 فلا تُرسلن (عبد العزيز) وسرّحن (٦) إليهم فتى الأزد الألد المساميا
 فتى لا يلاقى الموت إلا بوجهه جريثا على الأعداء للحرب صاليا

ب — و (الشيبية) أتباع (شبيب بن يزيد الشيباني) المكنى (بأبي
 الصحرارى) وصاحب الحروب العظيمة مع (الحجاج) ذكر المؤرخون

(١) الشزر قتل الجبل من حجة اليسار (٢) المريرة الجبل. والمراد خلفه وشكيمته

(٣) القحيم المسن

(٤) المغضب، أو المجدد تشبها له بالسنان الحرب لصفاته وحدته وهو أشد لقتله

(٥) جمع هاد وهو العنق

(٦) أرسل

أنه قدم الشام مسالماً وسأل (رَوْح بن زَبَاع) من خاصة عبد الملك أن
يسمى في أن يكون له مكانة في الدولة فأنكره (عبد الملك) وقال أخشى
أن يكون حرورياً ، فقال ستعرفني بعد هذا ، ثم جمع جموعه من الخوارج
(الصالحية) بعد قتل زعيمهم ^(١) (صالح بن مسرح) وناوأ بهم عبد الملك مدة
طويلة وهزم له جيوشاً كثيرة ، وانتصر على (عبد الرحمن بن الأشعث)
وقتل من قواد عبد الملك (عتاب بن ورقاء) . وكان خروجه سنة ٧٦ هـ
وقد هاجم الكوفة وفي جيشه مائتان من النساء قد اعتقان الرماح ،
وتقلدن السيوف ، ونصب أمه (غزالة) على المنبر فخطبت ، فنسب إليه
القول بأمامة النساء على المسلمين فصبر لهم الحجاج أولاً في داره ، ثم جمع
جنوده وقاتلهم فشتت جمعهم ، فأنحازوا إلى (الأنبار) فلحقهم جيوش
الحجاج ، فهزمتهم إلى (الأهواز) ثم أرسل لقتالهم (سفين بن الأبرد)
فلما كان على شط (دُجَيْل) بالأهواز ركب (شيب) الجسر ليهرب ففرق
وهو يقول (ذلك تقدير العزيز العليم) فأرسل الحجاج رأسه إلى عبد الملك
وبعد قتل (شيب) تولت أمه (غزالة) أمر القوم وقد قتلت كما قتلت زوجته
في هذه الحروب ولما وقف أسارى جيشه بين يدي الحجاج همّ بتلّ أحدهم
فقال (أهاني حتى أقول كلمة) وأنشد

أبرا إلى الله من عمرو وشيعته ومن على ومن أصحابِ صفين

ومن معاوية الطاعى وشيعته لا بارك الله في القوم الملائين

ح (والتجندات) أتباع (نجدة بن عويمر ^(٢) الحنفي) ومن آرائهم أن من
كذب كذبة صغيرة أو نظر نظرة صغيرة وأصر عليها فهو مشرك - ومن
شرب الخمر أو زنى أو سرق غير مصر على ذلك فهو مسلم إذا كان يدين .

(١) أتباع صالح بن مسرح من بني امرئ القيس قيل هو أول من خرج من
الصفرية وكان ناسكاً مصفراً الوجه لكثرة عبادته يقيم أرض الموصل (٢) وقيل (ابن عامر) .

يدين (نجدة) (أى برأيه فى الخروج) وكان خروجه باليامة (من أرض نجد) زمن عبد الملك يبنى بخروجه مساعدة الازارقة فلما علم أنهم يكفرون القعد انصرف عنهم وكفرهم بما قالوا - ثم حاول دخول (المدينة المنورة) زمن عبد الله بن الزبير ولكنه عدل عند ذلك لما رأى استعداد أهلها لقتاله وأسر جارية من ذرية عثمان بن عفان فطلبها عبد الملك منه فاشتراها ممن هى معه وردنها فنتم منه أصحابه ذلك التساهل وانتفضوا عليه وقالوا رددت جارية لنا على عدونا . فذهب فريق منهم لمساعدة (الازارقة) وهم (المطوية) أتباع عطية بن الاسود الحنفى وذهب فريق آخر إلى مناواة (نجدة) نفسه حتى قتلوه وفريق النجدات بالنظر إلى أصل مؤسسه فريق متساهل جدا إذا قيس بالازارقة ولا يفوقه إلا الاباضية

د - (والمجاردة) : أتباع عبد الكريم بن عجرد وهو من أتباع عطية ابن الاسود الحنفى المتشق على نجدة بن عويمر ويخالف المجاردة نافع بن الازرق فلا يرون استحلال أموال مخالفيهم إلا بعد قتلهم أما فى غير الحرب فلا يستحلونها . ويقولون بأن الطفل برىء حتى يبلغ الحلم ، فاذا بلغ وجبت دعوة إلى الاسلام أو يصفه هو من تلقاء نفسه وقد انقسم المجاردة إلى فرق منها (المملومية والمجهولية) (والحزبية) (والشعبية) وإليك كلمة موجزة عن هذه الطوائف :

فالمملومية : - يقولون ان من لم يعرف الله بجميع أسمائه جاهل به ، والجاهل به كافر .

والمجهولية : - قالوا من عرفه ببعض أسمائه فقد عرفه وكفروا بالمملومية لما ذهبوا اليه

والحزبية : - هم أتباع « حمزة بن أدرك » الذى عاش فى الارض فسادا

جهة « سجستان » و « خراسان » وما والاها وكان في نهاية القسوة اذا ظفر يقوم يحرق أموالهم ويقتل نساءهم ، خرج زمن الرشيد سنة ١٧٩ هـ وظل صدرا من خلافة المأمون ثم حاربه « طاهر بن الحسين » ففرق جموعه بعد أن قفى من الفريقين قرابة ثلاثين ألفا جلهم من رجال حمزة ، ولشدة ما عرف به من القسوة لم يرحم « طاهر » من وقع في يده من جنوده ولا من ظفر به ممن يقول برأيه من القعد غير المحاربين ، فقد جاء بثاماته من هؤلاء وربط كل واحد منهم بين شجرتين قد ضم رأس كل منهما إلى رأس الاخرى ثم أمر بقطع الروابط بين كل شجرتين فذهبت كل واحدة بشرط من الرجل المعلق فيها . وهذا بلا شك قسوة وبطش كبير ولكن الامعان في الافساد وفتنة المسلمين أكبر منه عند الله على أن ظاهرا لم يستأصل شائفة (حمزة) فقد فرم قاتله من بعده عبد الرحمن النيسابورى وبدد البقية الباقية من رجاله وجرح « حمزة » ففرومات في هروبه واستراح الناس من شره وصار لأهل نيسابور فضل بهذه الموقعة

وأما الثعالبه : — فهم أتباع ثعلبة بن مشكان كان أولا مع المجاردة ثم خالفهم ثم انقسمت فرقته ستة أقسام يخالف بعضها بعضها منها « الاخنسية » الذين حرموا القتل والاعتيان سرا و (الشيبانية) الذين ساعدوا أبا مسلم الخراسانى ، في حرب « الثعالبه » المخالفين لهم وأعانوه على حرب بنى أمية فكفروهم الخوارج لموالانهم (أبا مسلم)

ومن الخوارج (الميمونية) أتباع (ميمون بن عمران) من (المجاردة) وله أقوال تلحقه (باليزيدية) ، فقد نسب إليه إنكار أن سورة (يوسف) من القرآن ومعلوم أن منكر بعض القرآن كمنكر كله في الكفر والمروق من الدين

وكان يقول في أفعال العباد قول المعتزلة ويكفر أصحاب الذنوب كما يقول جمهور الخوارج

ويقول بشئ، لعله تلقاه عند المجوسية^(١) وهو إباحة نكاح بنات الاولاد وبنات اولاد الاخوة وأولاد الاخوات

هـ - ومن الخوارج «الصفريّة» أتباع زياد بن الأصفر ولهم مع عبيد الله بن زياد حروب شعواء، وهم على العموم في الاعتقاد كالازارقة غير أنهم لا يستحلون قتل النساء والأطفال وكانوا يوالون عبد الله بن وهب الراسبي، وحر قوص بن زهير، من رءوس المحكمة الأولى - ويقولون بولاية (أبي هلال مرداس بن حدير) بعدهما ثم بامامة (عمران بن حطان) بعد ما قتل مرداس^(٢) وينسب إليهم:

طائفة (البيسية) أتباع «أبي البيس» الذي يقول أن صاحب الكبيرة لا يحكم عليه بالكفر حتى يحده الحاكم وكان في زمن الحجاج وقتل بالمدينة وصلب وطائفة أخرى ترى أن وصف الكفر لا يقع إلا على مرتكب ذنب ليس فيه حد معين وأن من حد في بعض الذنوب خارج عن الايمان وغير داخل في الكفر فهي كما ترى أميل إلى التسامح من غيرها

و - ومن الخوارج طائفة (الاباضية) أتباع عبد الله بن أباض خرجوا زمن (مروان^(٣) بن محمد) ومن مذهبهم أن مخالفهم كفر نعمة فقط تجوز مناكحتهم وموارثتهم - واستحلوا من أموالهم الخيل والسلاح

(١) هم التنوية من الفرس يقولون باصلين يدبران العالم النور والظلمة ويسمون الدور إله الخير والظلمة إله الشر وهم فرق منها الزردانسية والمناوية والمزدكية (٢) هو (أبو بلال مرداس بن حدير) هذا وينسب الى الصفريه صالح بن مسرح صاحب شيب بن يزيد الشيباني

(٣) ووقع بينهم وبينه قتال في (تباله) بلدة باليمن استهان بها الحجاج حين ولى عليها فقتل في المثل (أهون من تباله على الحجاج)

وكانوا يردون لهم الذهب والفضة ، إذا غنموها ومن الأباضية طائفة تجمع على إخراجها من الإسلام تلك هي طائفة (اليزيدية) أتباع يزيد بن أبي أنيسة القائل بنسخ الشريعة الإسلامية بنبي بعثت من القرس . وهو في هذا صنعة المجوس كما لا يخفى ، وإلا فلماذا خص نبيه المزعوم بالقرس دون غيرهم ؟ ومن عجب أنه مع كفره هذا كان يتولى من نطق بالشهادتين مبالغة منه في المكر والخديعة ومن فرق الأباضيين (أصحاب طاعة لا يراد بها طاعة) يزعمون أنه يصح أن تصدر من العبد أعمال صالحة لا يريد بها وجه الله ، ولا ينوي بها طاعة ، وهذا كقول « أبي الهذيل العلاف » من غلاة المعتزلة وإذا صح أن يصدق على « النظر الأول »^(١) ، الذي ينظره المرء ليتوصل به إلى معرفة الله « وهو أول واجب على المكلف » فلن يصح أن أعمال يقوم بها مشرك^(٢) لا يبغي بها طاعة ولا قربة من الله فإن مدار الأعمال على النيات والمشرك بلا شك لا ينوي بعمله طاعة الله وإذاً فلا طاعة له ، والنية للأعمال كالروح للأجساد .

هذا وللخوارج فرق أخرى معظمها مشتق من الفرق المتقدمة وأرى أن أجتزئ^(٣) عنها بما تقدم عملاً بالاختصار الذي أخذت نفسي به أول هذا البحث .

نظرة اجمالية في الخوارج

كانت الخوارج فئة واحدة حتى عام ٦٤ هـ ثم انقسموا بعده إلى طوائفهم المذكورة بعد ويرجع الخلاف بينهم إلى تشدد (نافع بن الأزرق) في الحكم على مخالف الخوارج كما يتضح لك مما يأتي :-

(١) نظر الانسان إلى نفسه وغيرها من خلق الله للاستدلال على وجود الله

(٢) وكذا سائر الكفار (٣) اكتفى

(١) فالأزاقة (وهم غلاة الخوارج) يرون ما رآه نافع بن الأزرق من تكفير أعدائهم ووصفهم بالاشراك وكذا القاعدون عن اللحاق بهم ممن يقولون برأيهم ويتخذون التقية وكانوا يتبرءون منهم ومن أولادهم، ويستحلون ما لهم ويقتلون أولادهم

(٢) والأباضية : يرون أن مخالفهم كفار نعمة فقط تجوز منا كحتهم والتوارث معهم وتجوز شهادتهم

(٣) والصفيرية : كالأزاقة إجمالا غير أنهم لا يرون قتل الأطفال والنساء ولا يرون حرجا على (القعد) فكانت جهرتهم قعدا .

(٤) النجدات : وكانوا يكفرون من يكفر القعد ومن يقول بامامة نافع ابن الأزرق

ومن الخوارج طوائف أخرى كالمجاردة وفروعها ، وقد سبق الكلام عليهم ، وقد انقرض الخوارج إلا طائفة من الاباضية تقيم جهة (عمان) وفي جزيرة جربة تجاه (تونس) وفي جنوبي الجزائر

هذا — ويجمع الخوارج على وجوب الخروج على الإمام الجائر حتى إنهم ساعدوا عبد الله بن الزبير وليس منهم لما رأوه خارجا على يزيد بن معاوية لاعتقادهم الجور في يزيد ، وظلوا معه حتى مات يزيد وانجلى جيشه عن المدينة ثم بعد ذلك سألوا ابن الزبير ليتحققوا رأيه في نخلتهم^(١) فلما وجدوه مخالفا لهم تركوه وذهبت جهرتهم إلى البصرة وطائفة منهم إلى (اليمامة) بنجد .

كما يجمعون أيضا على إكفار الحكيمين ومن رضى بحكمها حتى إنهم أفروا على أنفسهم بالكفر إذ أقام عليهم ابن عباس الحجة ثم قالوا انا تائبون ، وهم

(١) وكان قد أبوههم أنه معهم يستعين بهم على يزيد

يرون إكفار على ومعاوية وعثمان وأصحاب الجمل ، أما التكفير بارتكاب المعاصي فلم يجمعوا عليه فمنهم من قالوا إنما يكفر من ارتكب معصية ليس لها عقوبة محدودة في القرآن فأما ما لها حد مخصوص كالزنا والقتل فلا يكفر فاعاها بل يوصف بما ارتكبه كالسرقة والزنا والقتل وقال أصحاب عبد الله ابن إباض إن صاحب الكبيرة كافر نعمة لا كافر دين وم جميعا يبرءون من الكاذب ومن ذى المعصية الظاهرة

إن من يقرأ تاريخ الخوارج ليتردد كثيرا قبل الحكم عليهم والمجزم بسبب خروجهم ، والباعث لهم على فتنهم لسكثرة ما فيهم من المتناقضات وقد اختلفت أحكام المؤرخين في أمر هذه الطائفة من المسلمين التي أوقدت نار الحرب حقبة من الدهر انسحبت على عهد علي ومعاوية وبنى أمية وصدر الدولة العباسية فأننا لا نستطيع أن نرmiهم بالكيد للاسلام والعمل على اضعاف المسلمين ، فهم عرب خلص لا يقال فيهم ما قيل في بعض الشيعة الغلاة من الترويج لديانتهم القديمة والسعى لاعادة دولهم التي أزالها الاسلام ، نعم ان طائفة (اليزيدية) التي تنتمى إلى (الاباضية) من الخوارج قالت إنه ستنسخ شريعة الإسلام بنبي يبعث من الفرس آخر الزمان وطائفة (الميمونية) أنكرت سورة يوسف وأحاديث ما حرم الله ، ولكن هذه شرذمة قليلون بالنسبة لجماعة الخوارج التي ملأت العراق وفارس وخراسان واليامة وبلغت جيوشها الآلوف المؤلفة ولم يكن منهم إلا متنطع في دينه ، متشدد في عبادته مغال في حدود الله ، ان قوما يكفرون العصاة لبيد أن يوصفوا بالكيد للاسلام

ولل قائل يقول ان القوم مدفوعون إلى خصومة على كرم الله وجهه بدسيسة من أعدائه وهنا موضع الحيرة والتردد، فانهم كانوا يذمون عليا ومعاوية

وكل من لاذ بهما ، بل كانت عباراتهم عن معاوية أشد وأنكى ، ثم إنهم بعد ما أمروا أنفسهم على قتل علي ومعاوية وعمرو وأقرب ظاهر الأرض من أبي الحسن ظلوا يناصبون معاوية العداة وظل معاوية ومن خلفه مجردون عليهم الجيوش إثر الجيوش حتى شتوا جمعهم وقضوا على جرثومتهم

نعم ان فكرة التحكيم كانت سببا لصدع عصا الفريق العلوي وإيقاع العداوة والبغضاء بينهم ولكن العقل لا يطمئن إلى أن يكون القوم مسوقين إلى الفتنة باغراء معاوية ، ودهاء (ابن العاص) لاسيما بعدما كنا هدفا لسهامهم في المؤامرة التي طاحت بسيدنا علي وفدت عمرا بخارجة ولم تقض على معاوية

ولا يمكن أن يكون قبول (علي) التحكيم هو السبب في فتنهم فقد قرأت محاجة (ابن العباس) لهم وفرارهم من الحق بعدما تبين لهم ويجمل بي أن أعرض عليك مناظرة أخرى دارت بينهم ، وبين علي ليستين لك وجه الصواب فيما أقول :-

لما اجتمعوا بمروراء وناظرهم (ابن عباس) فلم يرجعوا ذهب إليهم سيدنا علي فناظرهم وكان علي رأسهم (ابن الكواء) فكان بما قاله لهم :-
« أعلمون أن هؤلاء القوم لما رفعوا المصاحف قلت لكم إنها مكيدة وَوَهْنٌ وأنهم لو قصدوا إلى حكم المصاحف لم يأتوني ثم سألتوني التحكيم أفعلمتم أنه كان منكم أكره لذلك مني ؟ قالوا اللهم نعم . قال فهل علمتم انكم استكرهتموني على ذلك حتى أجبتمك اليه فاشترطت أن حكمهما نافذ ما حكمها بحكم الله عز وجل فإنه خالفاه فأنا وأنتم منه برآء وأنتم تعلمون أن حكم الله لا يبدؤني ؟ قالوا اللهم نعم ثم قالوا حكمت في دين الله برأينا ونحن مقرون بأنا قد كفرنا ونحن ناثبون فأقرر بما أقررنا وتب ننهض معك الى

الشام^(١) قال أما تعلمون أن الله جل ثناؤه قد أمر بالتحكيم في شقاق بين رجل وامرأة فقال (فابمشوا حكما من أهله و حكما من أهلها) وفي صيد أصيب في الحرم كأرنب يسارى ربع دينار فقال عز وجل (يحكم به ذوا عدل منكم) فقالوا إن (عمراً) لما أبى عليك أن تقول في كتابك هذا ما كتبه عبد الله (على) أمير المؤمنين محوت اسمك من الخلافة وكتبت (على ابن أبي طالب) فقال لهم رضى الله عنه لى برسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حيث أبى عليه (سهيل بن عمرو) أن يكتب (هذا كتاب كتبه محمد رسول الله وسهيل بن عمرو) فقال لو أفررنا بأنك رسول الله ما خالفناك ولكي أقدمك لفضلك ثم قال : اكتب (محمد بن عبد الله) فقال يا على امح (رسول الله) فقلت يا رسول الله لانسخونفسى بمحو اسمك من النبوة فقال عليه السلام (قفى^(٢) عليه) فحاه بيده ثم قال (اكتب محمد بن عبد الله) ثم تبسم لى عليه السلام . وقال (يا على أما إنك ستسأم مثلها فتمطى^(٣))

ومع كل هذه الحجج الدامنة لم يرجع معه إلا القليل .
فلا كان قبول التحكيم هو السبب في الخروج لما كان لهم بعد هذه المناظرة معدى عن الرجوع

ولا نفتقد مطمئين أن القوم مدفوعون بمواطف الشهوات والغايات فانهم أهل عبادة ونسك وإن قول قطرى بن الفجاءة في أم حكيم :-
لعمرك إني في الحياة لزاهد وفي العيش ما لم ألق أم حكيم
من الخفرات البيض لم ير مثلها شفاء لذي بث ولا لسقيم

(١) أى لقتال معاوية (٢) ضع يدي عليه لانه عليه السلام كان أميا
(٣) سيطاب منك مثل ما طلب منى فتقبله - وهذا من باب إخباره بالغيب الذى حققه الواقع

ليس فيه شيء يخدش من عفاف قطرى فان أم حكيم زوج لقطري
ومن حقها عليه أن يخبرها ببلائه في حرب كرب دولا ب وأن ينوه باسمها
في شأن المارك الشداد. أليست هي التي كانت تحمل على الفرسان وتقول :-

أحمل رأسا قد سئمت حملةً وقد مللت دهنه وغسله

اللاقي يحمل^(١) غني ثقله؟

وقد يكون خروج امرأة في زى الرجال لتثار (لنافع بن الأزرق)
ومبارزتها الفرسان دليلا على بسالة الخوارج (نسائم ورجاهم) لا على
صلة سيئة بينها وبين نافع ، ولا غرو فقد كان في جيش (شيب) مائتان
من النساء تقلدن السيوف وأبدن في الحرب شجاعة الرجال ، وقادت
غزاة جيش ولدها شيب بعد مصرعه وأبدت من الشجاعة ما حير الرجال
ففكرة أن القوم مدفوعون الى ثورتهم بعامل الشهوة فكرة بييدة
الاحتمال. ولا يستطيع المنصف أن يقول أنهم خرجوا ظمعا في الملك والامارة
لان بعضهم لقب بأمر المؤمنين ؛ فان هذا اللقب لم يثبت أن من لقب به
اتحل له نفسه قهرا وما عليه من بأس إذا اعتقد أشياعه أنه أجدر
بالامامة فنادوه بها

فالسبب في فتنه الخوارج وراء كل هذه المسائل هو الذي أدركه
(أبو الحسن) بزكاته وألميته حين قالوا (لا حكم إلا لله) : فقال من فوره
كلمة حق يراد بها باطل ، هم يريدون لا إمارة ولا بد من امارة برة أو فاجرة
فالقوم بلا ريب أهل فوضى واضطراب ، وهم ناثرون على نظام الحكم
والقائمين به إذ ذاك ، وهم رأوا دماء المسلمين تراق وبأسهم واقعا بينهم
فخرجوا وثاروا ، وكل أمانهم تخليص الاسلام من نظام رأوه شرابلا رأوا

(١) بريحا من حملة أى بقطعه

أن الرضى به كفر فثورتهم سياسية قبل أن تكون دينية بل إنها سياسية بحجة اندفعوا فيه مخلصين لها لا يعينهم أن يقال أخطئوا أو أصابوا، شأن كل من يركب رأسه ويعرض عن ذكر العواقب جانباً ثم جرهم العناد إلى الدين فحاربوا به مخالفينهم فكفروا العصاة وقتلوا النساء والأطفال، حتى قال لهم عمر بن عبد العزيز (إنكم أردتم الآخرة فأخطأتم طريقها) ولما أخذتهم سيوف الامام على في النهروان ، وسيوف المهلب وغيره فيما بعد لجوا في عنادهم ، واندفعوا في غمار الحرب ، لأنها محبة اليهم بحكم جبلتهم العربية وبعامل الثأر لقتلهم ممن يعتقدون فيهم الجور والظفیان ويزعم الحوارج انهم كفار مشركون ، تلك هي الحقيقة التي يستنبطها المنصفون من تاريخ الحوارج ومن القصة الآتية يتضح لك جانب مما ذهبنا اليه من أن جبههم للأخذ بالثأر من أسباب طول مدتهم

بطشت جنود داين زياد ، وأميرهم (عباد بن أخضر) بأبي بلال ابن مرداس) وجماعته وهم قيام لصلاة الجمعة بعد ما تهادنوا للصلاة فانت عليهم جميعاً وصابوا على جذوع النخل وظل عباد بن أخضر مسروراً بما أوتيته من ظفر

وحسب أنه صار بما من من مقابلة الغدر بمثله ولكن القوم كانوا يتربصون به الدوائر ليشفوا صدورهم بأخذ الثأر فرصدوه في يوم الجمعة وقد أقبل راكباً وأردف وراءه ابنه فقام إليه رجل من الحوارج وقال أسألك عن مسألة قال ما هي قال الحارجي : أرأيت رجلاً يقتل رجلاً بغير حق وللقاتل جاه وقدر وناحية من السلطان الولي المقتول أن يفتك به إن قدر عليه؟ قال (عباد) بل يرفعه إلى السلطان ، قال الحارجي ان السلطان لا يُدعى عليه لمكانته منه وعظيم جاهه عنده قال (عباد) أخاف عليه إن قتله

تحتك به السلطان قال الخارجي دُعُ ما تخافه من ناحية السلطان ، أتلقته تبعة^١ فيما بينه وبين الله ؟ قال (عباد) لا قال الخارجي قد حكم ؛ ثم قام هو وأصحابه فخطبوه بأسياهم ورمى (عباد) ابنه من ورائه فنجوا وتنادى الناس (قتل عباد) فجاء أخوه معبد بن أخضر في جماعة من قومه فصاحوا بالناس دعونا ونأرنا ومالوا على الخوارج بالسيوف فلم يقات منهم إلا (عميدة ابن هلال) وفي ذلك يقول الفرزدق :-

لقد أدرك الأوتار^(١) غير ذميمة إذا ذم طلاب الثرات الأخضر
هم جردوا الاسياف في يوم أخضر فنالوا التي ما فوقها نال نائر
أقادوا^(٢) به أسدا لها في اقتحامها إذا برزت نحو الحروب بصائر
ومهما يكن من أمرهم فقد أضعفوا جيوش الدولة الاسلامية وشغلوها
عن الفتح والاصلاح زمنا طويلا حتى كان معظمهم بنى أمية حرب الخوارج
فجنايتهم على الاسلام من هذه الناحية كبيرة جدا وكم أراقوا من دماء ، وكم
قتلوا من أطفال وكم استباحوا من أموال لم تأخذهم الشفقة على امرأة لضعفها
ولا شيخ لشيخوخته ، ولا طفل لبراقته الأُسْحَقُ لقساة القلوب.

٦ - الجبرية

تبين من مذاهب المعتزلة أنهم كانوا يغالون في إثبات الكسب للانسان
أما المجبرة فعلى العكس منهم يغالون في نفي الاستطاعة عن العبد يجعلونه كالريشة
في مهاب الريح أو كأغصان الشجرة (ومذهب أهل السنة وسط بين المذهبين
كما علمت) وعلى مذهب المجبرة لا يكون للانسان كسب ولا ارادة
ولا اختيار ، ولا تصرف فيما وهبه الله من نعمة العقل والتصرف على
حسبه فكيف يكون له مطمع في ثواب أو خوف من عقاب ؟ وما قيمة
(١) الوتر والثرثرة النار^(٢) أخذوا في قتلهم رجلا كالا سود بصيرين بالحروب

الرسالات والديانات وما جدوى الوعد والوعيد ؟ ولماذا أعدت للخلاص للمتقين والنار للعاصيين ؟ وكيف يتصور الانسان ذلك في نفسه وهو يشعر أن له وجودا وأن له إرادة واختيارا ؟ لقد ضل كثير من الناس بمذهب الجبر فخارت منهم الهمم وانتقضت منهم العزائم ، وقعدوا وتواكوا وأغرق بعضهم في الفجور والدعارة مستترا بهذا الستار . فاذا سئل عما يفعل قال انه (مسير) الى غير ذلك من الأعدار التي لا يقيم لها الشرع والعقل وزنا ، فما وهب الانسان عقله جزافا ولكنه الضلال عن معنى (القدر) اتخذه الناس سدا حصينا دون العمل والحيلة

ومن الجبرية طائفة (الجهمية) أتباع جهم بن صفوان الترمذى الفارسى الذى قتل فى سنة ١٣١ أواخر الدولة الأموية ، كان ينفى الصفات الالهية كلها وينفى رؤية الله ويزعم أن الجنة والنار تفتيان وتنقطع حركات أهلها محتجا بأن عدم فئتهما يتعارض مع معنى قوله تعالى (وأحصى كل شىء عددا) وهذا مردود عليه بما يأتى : -

قال الفخر الرازى إن الله يعلم الشىء على ما هو عليه وكما هو فى نفسه فلما لم يكن لأجزاء غير المتناهى أجزاء متناهية . امتنع أن يعلم الله كونها متناهية ، يريد أن العلم بها على أنها غير متناهية هو العلم اللائق بالله تعالى ووافقه (ابن حزم) فى ذلك وزاد عليه أن من علم الشىء على خلاف ما هو عليه فهو جاهل به مخطئ فى اعتقاده ظان للباطل ، وعلم الله تعالى هو اليقين الحق

ويقول جهم بخالق القرآن والجبر وأن الانسان لا يقدر على شىء ولا يوصف بالقدرة . وكان من دعاواه (إن من عرف الله ولم ينطق بكلمة التوحيد

لا يكفر) لأن العلم لا يزول بالصمت ولا بالجحود، وهذا مردود بأن
 الإيمان هو التصديق بالقلب بشرط^(١) الاقرار باللسان وبقوله عليه الصلاة
 والسلام (أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله)

٧ - القدرية^(٢)

هم المغالون في إثبات القدرة للإنسان وأنه لا يحتاج إلى معونة إلهية
 في أعماله، وهذا مذهب قريب من مذهب المعتزلة كما لا يخفى، وزعيم
 هذا المذهب (النظام) من شيوخ المعتزلة وأول من قال بالقدر بهذا المعنى
 (معبد الجهني) وكان يجالس الحسن البصري وتبعه أهل البصرة فعذبه
 الحجاج وصلبه سنة ٨٠ هـ بأمر عبد الملك بن مروان

٨ - المشبهة

هم الذين غلوا في إثبات صفات الله (على عكس المعتزلة) حتى وصلوا بها
 إلى حد التجسيم في ذات الله تعالى فمنهم من قال إنه كنوز السبيكة الصافية
 يتلألأ من جوانبه

(١) أو الاقرار شرط منه (كما سبق)

(٢) هم منكرو قدر الله تعالى والقدر علم الله بالأشياء ومقاديرها وأزمانها قبل وقوعها
 وإيجادها على ما سبق في علمه، والقدرية: منهم من ينكر سبق علم الله بالأشياء قبل
 وقوعها ويقولون (الأمر أنف) بمعنى أن الله يأتنف الأشياء علما حين وقوعها
 (يتبدى علمها) ومنهم من يقول انه تعالى عالم بالأفعال أزلا ثم يزعمون أن أفعال
 العباد مقدرة لهم وصادرة منهم على جهة استقلالهم وقد مر بك بحث هذه المسألة
 عند الكلام في أفعال العباد

واحتجوا بقوله تعالى (الله نور السموات والأرض) ، وهذا وهم لا دليل عليه فان النور إما جسم وإما عرض والله تعالى ليس جسما ولا عرضا كما ثبت ذلك بالبراهين العقلية

والمعنى اللائق بتزيه الله تعالى عن الجسمية والعرضية أنه منور السموات والأرض على سبيل المجاز كما تؤيده بعض القراءات فان الله منورها بالكواكب ويهدي الأنبياء عليهم السلام أو بالتدبير والاحكام كما تقول للرجل البالغ نهاية التدبير في عشيرته أنت (نورهم) الذي يهتدون به في دياجير الملمات ومدلم الخطوب ، أو المعنى كما قال (ابن عباس) أنه هادي من في السموات والأرض فهم بنوره يهتدون وإضافته إليهما للدلالة على سعة إشراقه

ومنهم (المجد بن درهم) مؤدب (عمروان بن محمد) الذي يقول إن الله جالس على العرش ، أخذنا بظاهر الآية الشريفة (الرحمن على العرش استوى) مع أن روح الآية ومتعارف اللفظة وتزيه الله تعالى تقتضى أن يكون الاستواء بمعنى الاستيلاء كما في قول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهران
ومن المشبهة (الهشامية) الذين قالوا: ان الله كنور السيكة الصافية يتلأأ من جوانبه و (الجولقية) الذين قالوا أنه على صورة إنسان نصفه الأعلى مجوف ونصفه الأسفل مصمت ، ومنهم (البيانية) أتباع (بيان بن اسماعيل) الذي قال ان الله على صورة انسان وأنه يهلك كله إلا وجهه تمشيا مع ظاهر الآية (كل شيء هالك إلا وجهه) وما أظن هذا الادعاء وما قبله في حاجة إلى إبطال فالبطالان واضح فيهما سبحانه وتعالى ليس كمثل شيء وهو السميع البصير

ومن المشبهة طائفة (الكرامية) أتباع (محمد بن كرام) المتوفى سنة ٢٥٦ هـ كان له تبع كثيرون في جهة نيسابور ومن قولهم أن الله جسم له حد ونهاية من الجهة التي يلاقى بها عرشه ، ووصفه تعالى بأنه جوهر ، وأن الله مماس لعرشه الذي هو مكان له ، وأنه محل للحوادث فادراكه للسرّيات والمسموعات وأقواله وإرادته اعراض حادثة فيه ، وزعموا أنه لا يموت في العالم جسم ولا عرض إلا بعد حدوث اعراض كثيرة في ذاته منها إرادته لحدوث ذلك الحادث وقوله له (كن) على الوجه الذي خصصه به ، ولا يعدم من العالم شيء إلا بعد حدوث أعراض كثيرة فيه تعالى وقوله (كن معدوما) إلى غير ذلك من الاباطيل التي لا يقبلها عقل سليم ، وقد تكلمت الأدلة العقلية في مباحث التوحيد بنفي التحيز عن الله ونفي التركيب في الذات فلا نطيل في الرد على هذه الضلالات وكم (للكرام) من آراء باطلة في الفقه كزعمه أن العبادات تصح من غير نية وتكفي نية الاسلام وأنه يجوز الخروج من الصلاة بالأكل والشرب والجماع عمدًا ثم البناء على ماصلي منها وجوز الصلاة في نوب مستغرق في النجاسة

الباطنية والفراطة

الباطنية فرقة تقول أن لكل ظاهر باطنا ولكل تنزيل تأويلا وكانوا يلتقون في المراق (بالفراطة) وفي خراسان (بالملحدة والتعليمية) وهم يقولون إننا شيعة (اسماعيلية) تميزنا عن الشيعة بهذا الاسم وهم يتأولون آيات القرآن الكريم على أهوائهم فيزعمون أن الملائكة هم دعواتهم ، والشياطين مخالفوهم والصلاة موالة إمامهم والحج زيارته والصوم الإمساك عن افشاء سره وأن من عرف الله سقطت عنه العبادة ويتأولون في ذلك أنه تعالى (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) يريدون

باتيان اليقين معرفة التأويل والمنفي الواضح الحق (حتى يأتي الموت) فليس شئ، مما يطرأ على الانسان متيقن الوقوع كالموت

ونشأ من تأويلاتهم هذه أن أضلوا كثيرا ممن استهوتهم شياطينهم وومن يرغبون في التحلل من قيود الشريعة والقيام بالتكليف (وكثير ما هم) . فقد أباحوا نكاح الأخوات والبنات وشرب الخمر وسائر اللذات

قال بدعوتهم (ميمون بن ديسان) المعروف (بالقداح) وهو من (الأهواز) كان مولى لجعفر الصادق ، أعلن دعوته عند أكراد الجبل وانتسب لمقبل بن أبي طالب لما رحل إلى بلاد المغرب فقبل دعوته قوم من غلاة الروافض والحلولية ثم ادعى أنه من ولد (محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق) مع أن (محمدا) هذا لم يقب وأزره في دعوته هذه رجل يقال له (حمدان قرمط) سنة ٢٦٤ هـ وكانا كارا (حرانا) من أكراد العراق فنسبت إليه فرقة (القرامطة) التي تستقي من معين الباطنية .

والقرامطة هؤلاء من الزنادقة الذين ضلوا واضلوا واستباحوا الحرمات وعاثوا في البلاد فسادا لما كثرت جمهرتهم ممن يميلون إلى الأهواء ويميلون التحلل من قيود الدين ، ويرحبون بدعوة أعداء الاسلام من الجوسية والثوية إذ قيل أن أول داع إلى هذا المذهب كان يميل إلى عقيدة المجوس ونشأ في مهد هذه الديانة من جهات فارس

وكان ظهور دعوة الباطنية زمن (المأمون) وانتشرت زمن المعتصم فوكل بحريهم (الإفشين) ثم (عبد الله بن طاهر) و (أبادلف)^(١) المعجلي (

(١) هو القاسم بن عيسى بن ادريس المعجلي ، الشجاع الكريم ، مات سنة ٢٢٦ هـ وفيه يقول أبو تمام :-

تكاد عطاياها يمن جنونها إذا لم يزودها بنفحة طالب

ويقول غيره :-

إنما الدنيا أبو دلف بين يديه ومحتضره
فإذا ولي أبو دلف ولت الدنيا على أثره

كما حاربهم الاخشيديون بعد ما راوه من استفحال شرهم وانتشار ضلالاتهم وقد ظهر حفيد (ميمون بن ديسان) بالشام وانتصر على جيش المعتضد ودخل (ابن جهرية) الرصافة وأحرق مسجدها الجامع ، وفي سنة ٥٣١٢ هـ قتل القرامطة أكثر الحجيج وسبوا الذراري وأمعنوا في أذى الناس

وبالجملة فالباطنيون والقرامطة من أشد الناس خطرا على الإسلام ، والقرامطة ممن قالوا بتناسخ الأرواح . ولهم كتب تبين مذاهبهم الضالة منها كتاب (أساس الدعوة) وكتاب (تأويل الشرائع) وكتاب (كشف الأسرار)

والذي يدل على أنهم متأثرون في دعوتهم بديانة المجوس والثنوية اتحاد أصول دعوتهم مع أصول تلك الديانة ، فلماثنية يقولون (ان النور والظلام فاعلان قديمان ، والأول فاعل الخير والثاني فاعل الشر) والمجوس كالثنوية في ذلك سوى أنهم زعموا أن صانع الخير قديم وهو الاله وفاعل الشر حادث وهو الشيطان ، والباطنية يقولون ان الاله خلق النفس (فهو الأول والنفس هي الثاني) والاثنا عشر مديبران للعالم وسموها (الأول والثاني) أو (العقل والنفس) فأنت ترى أنه لا يكاد يوجد فرق بين نحلة المجوس والثنوية من (قدامى الفرس) ودعوة الباطنية ممن يتحلون الاسلام وهو منهم براء ، بل إنهم إذ حاولوا الكيد للاسلام أفزعتهم سيوف المساميين فاجتثوا الى الحيل يغيرون بها الضماف الذين يسرهم أن يتحللوا من قيود الشرع وحدود الدين ، وما كان تشبهم بالتشيع إلا حيلة وتماديا في التستر وإمعانا في الكيد وكان لهم في استمالة العامة إلى مذهبهم طرق شيطانية فانهم بيدهون بتشكيكهم في الكتب السماوية كافة ويدعونهم الى نبذ الشرائع ثم يشككونهم في الحياة الأخروية حتى ينكروا البعث والمعاد وغيرهما

ويفهمونهم أنه كان قبل آدم خلق كثير يبعثون بذلك إضعاف العقيدة والتوصل به الى قدم العالم كما قالت الفلاسفة ، وكل هذا واضح من رسالة أرسلها رأس من رؤوس الباطنية (عبيد الله بن الحسن القيرواني) الى داعية من دعواتهم (سليمان بن الحسن الجعاني) يقول فيها ادع الناس بأن تتقرب اليهم بما يميلون اليه ، وأرهم كل واحد منهم بأنك منهم فمن آمنت منه رشداً فاكشف له الغطاء ، وإذا ظفرت بالفلسفي فاحتفظ به فعلى الفلسفي معولنا وإنا وإياهم مجمون على قدم العالم)

يتضح من ذلك أن الباطنية والقرامطة هم الزنادقة المارقون الذين اصطنعهم المجوس للكيد للإسلام فكانوا عند ظنهم وكانت لهم جبهة كشفية في جهة الهند الى أن بددها وقضى عليها (محمود بن سبكتكين) حين غزا الهند واستولى عليها رحمه الله ، هذا ولم يبق من ذيوهم إلا فئات ضئيلة متفرقة جهة الهند والشام ولبنان (١)

(البهائية)

هذا ومن ذبول الباطنية طائفة فارسية الأصل توجد الآن بجبهة الشام تدعى (البهائية أو البابية) نسبة إلى (بهاء الله ميرزا حسين علي) أو الى (الباب ميرزا علي محمد) وهما فارسيان ظهر الثاني منهما بشيراز جنوبي فارس وكان تاجرا ثم أعلن دعوته التي تستقي من معين الباطنية سنة ١٢٦٠ هـ فأعدمته الحكومة الايرانية سنة ١٢٦٥ هـ وخلفه الأول فسجنته ثم نفته الى بغداد سنة ١٢٦٩ هـ فلما تهادى في ضلالاته نفته الدولة العثمانية الى (أدرنه) ثم الى (عكة) وهلك بها سنة ١٣٠٩ هـ فخلفه ابنه (عبد البهاء عباس) .

(١) منهم الدرروز الذين يقولون بحلول روح الله في الحاكم بأمر الله الفاطمي ، ومحمود

ابن سبكتكين هو سلطان غزنه توفي سنة ٤٢١ هـ

ولهذه الطائفة دعاة يروجون لها وكتب تنشر مذهبهم، وهي كالباطنية في دعوى التشيع والتشبهت بكثير من الضلالات فمن ذلك أنهم يؤولون الكتاب العزيز والحديث الشريف على حسب أهوائهم، يريدون بذلك تشكيك الناس في العقيدة، حتى يسهل عليهم مهاجمتها، وصرف الناس عنها، تعصبا إلى دينهم الأول الذي أزاله الإسلام بعد غزو فارس. فيقول أحد دعائهم في كتابه (الدرر البهية) (ليس المراد من تأويل آيات القرآن معانيها الظاهرة ومذاهبها اللغوية، بل المراد المعاني الخفية التي أطاق عليها الألفاظ على سبيل الاستعارة والتشبيه)، وواضح أن هذا نوع من التويه والبهتان فالقرآن كما وصفه الله كتاب عربي مبين أنزله الله على رسوله الأمين ليلغفه الناس فيتدبروا آياته ولينذروا أولو الألباب، ولا يتحقق ذلك الغرض من القرآن إذا كانت ألفاظه لا تعرب عن مدلولاتها ولا تفصح عن معانيها، وما فائدة الرسالة إذا صح ما يزعمون، لاشك أن القوم يظهرون بلباس الإسلام ليستطيعوا نفث سمومهم ويصلوا إلى ما لا يستطيعون لو ظهروا بمظهرهم الحقيقي، فهم لذلك يلجئون إلى ما لجأ إليه أسلافهم الباطنية من صرف معاني القرآن إلى أهوائهم ولولا أن أخذت الحكمة متان الفارسية والعثمانية عليهم السبل لاستفحل شرهم واستشرى داؤمهم وكانت لهم فتنة لا تقل عن فتنة أصلهم من الباطنية والقرامطة الذين عاثوا في الأرض فسادا. وكما ادعى الباطنية حلول الله في الأشخاص ادعى هؤلاء مثل هذه الدعوى فيقول (عبد البهاء عباس) (وقد أخبرنا (البهاء) بأن مجيء رب الجنود والأب الأزلي ومخلص العالم الذي لا بد منه في آخر الزمان عبارة عن تجليه في هيكل (عيسى الناصري) إلا أن تجليه في هذه المرة أم وأكل وأبى، فميسى وغيره من الأنبياء هيئوا الأفتدة والقلوب لاستعداد هذا التجلي الأعظم)

وورد في بعض كتبهم (أن الكون بلا مبدأ زمني . وانه صادر أبديٌّ
 عن العلة الاولى) فلا يفرنك تمويههم واعلم أن صدور العالم عن العلة
 على حسب تعبيرهم لا يفيد الأبدية كما يعتقدون وإنما يفيد عقلا انه حادث
 لأن العلة مهما اتصل بها المعلول سابقة عليه في مرتبة الوجود وبدهى
 أن مفروض الوجود سابق في الوجود على المفاض عليه ، وإلا كان الحكم بأن
 هذا علة وهذا معلول ترجيحا بلا مرجح ، وهنا يجدر أن نقول إن إطلاق
 لفظ العلة على واجب الوجود سبحانه وتعالى من قبيل المشاكلة والمجاراة لعبارة
 الحكماء في جدلهم ليس غير ، وإلا فله الأسماء الحسنى والمختار أنها توقيفية ،
 على أن الله تعالى موصوف بالارادة والاختيار وقبل أن يخلق العالم كان ولا
 شيء معه فلما تعلقت قدرته وإرادته بخلق الكون أوجده من العدم فليس
 هنالك مجال لدعوى قدم العالم بحجة أن الشيء لا يتخلف عن علته ، إلا إذا
 قال أولئك القوم بتجريده تعالى عن الارادة والاختيار وهذا ما نهضت
 الأدلة العقلية الحاسمة على نفيه عن الله بعد ما ثبت وجود الممكنات ،
 واحتياجها الى موجد ، وأن ذلك الموجد ليس من طبيعة الممكنات
 وأنه ما دام كذلك فهو الواجب الذي لا يشابه الممكنات فلا يوصف
 بالكراهية ^(١) والاضطراب

(١) ولا قيمة لاعتراض بتوجه إلى قضية (أن العالم مخلوق من العدم) فإن الخالق
 جل ثناؤه صاحب القدرة التي لا نهاية لها ، وغير مفقود الى شيء آخر (وهذا ثابت
 بالأدلة العقلية) فلا يتقيد في خلق العالم بشيء وفي قدرته أن يوجد الشيء من العدم
 الصرفة وإلا كانت قدرته محدودة وذلك مما أحاله العقل وادعاه أنه لا يتصور (صدور
 شيء من لا شيء) يليق بالممكن الذي له قدرة محدودة ، أما (الواجب) جلت قدرته
 فلا يتقيد بما تقيد به الممكنات ودعوى أن ذلك مما لا يدركه العقل لا تنفي إمكانه

وزعم (عباس) أن تعاليم (البهاء) (تحتوى على جميع آمال العالم، وأن الجميع يجدون فيها ديناً عمومياً في غاية الموافقة للمصير الحاضر) وبزعم أنه يريد أن يوحد بين المسلمين والنصارى واليهود ويجمعهم على أصول نواميس (موسى) عليه السلام الذى يؤمنون به جميعاً) وليس معنى ذلك سوى الطعن على شريعة الاسلام، والدعوة إلى نبذها والتصل من الدين جملة بعد ما استقر في النفوس أن الاسلام دين الفطرة، وأنه خاتم الديانات ورسوله عليه السلام خاتم الانبياء وليس بعد هذا قول أدل على خبث نية هؤلاء القوم نحو الاسلام والمسلمين

ثم إن القوم لا يؤمنون بالبعث والنشور والثواب والعقاب (كما وصفهما القرآن الكريم) ويؤولون يوم القيامة بمجىء (البهاء) والجنة بالحياة الروحانية والنار بالموت الروحاني، وهذا صريح في تجردهم من لباس الاسلام ومن عجب أنهم مع كل ما تقدم يتمسحون بالاسلام، ويدعون التشيع وهم ظل لاسلافهم (الباطنية والقرامطة) الذين أجمت الأمة على مروقهم من الدين، وعلى أنهم سلائل المجوس الذين غاظهم زوال ديانتهم بأشراق نور الاسلام على أرض فارس فاحتالوا للنيل منه بتلك الدعاوى والتشيع لآل البيت وهم منهم برآء وقانا الله شر الفتن والوقوع في حبائل المضالين، وثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة

بالنسبة لله إذ لا يلزم من الجهل بالشيء نفيه، وكثيراً ما يقف الإنسان حائراً دون حقائق الأشياء وهو يشاهدها بجواسه فكيف بأمر نسبته إلى بارئ الكون وواجب الوجود (أما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون)

كلمة اجمالية في الفرق

١ — كانت فكرة الشيعة أول الأمر التعصب لعلي كرم الله وجهه وأولاده من بعده ثم دخلها الجدل الديني ليؤثر وابه على العامة ولم تخل من دخيل يكيد للدين في الحقاء، متشحا بوشاح الاسلام، والغيرة على آل البيت . وقد فطن الامام علي كرم الله وجهه إلى هذه المسكيدة فنفي (عبد الله بن سبأ) وشرده في الآفاق ولم يبق على من ادعوا ألوهيته منهم فقبيل انه أوقد النار وأحرقهم وبينهم وبين الحوارج تمام التناقض فالشيعة يوجبون الامامة في علي وآله، ويقولون ان ذلك ثابت بالنص جليا أو خفيا وبمصمة الائمة وان الامامة في (علي) لا تخرج عنه وعن أولاده شرعا، وإن خرجت فبظلم من الناس أو ببقية من أولاده، ثم هم يحملون الاعتقاد بالامامة جزءا من الايمان

٢ — أما الحوارج فيجوزون أن تكون الامامة في غير بنى علي بل في غير قريش بل يرون جواز خلو العالم من إمام ويوجبون محاربة الامام الجائر وينفون العصمة عن سائر البشر، وأقرب الشيعة إلى أهل السنة، الزيدية، وأبعدها من شرعة الاسلام الغلاة الذين اعتقدوا حلول الله تعالى في الانبياء. والائمة وقالوا بالرجعة أو بالتناسخ

٣ — وأما المعتزلة^(١) فقد نما مذهبهم أول القرن الثاني، ولما كان كثير منهم من الفرس، وكان للفرس مكانة في الدولة العباسية، نبه شأن المعتزلة.

(١) زيادة على ما أسلفناه في أصل سميهم يقال ان سببها اعتزال شيخ المعتزلة وامامهم (عمرو بن عبيد) المتوفى سنة ١٤٤ هـ لمجلس (قنادة بن دعامة السدومي) الذي تصدر في مجلس (الحسن البصرى) بعد وفاته فلما اعتزلوه سبهم المعتزلة، وقنادة هذا توفي سنة ١١٧ هـ (بواسطة)

وعاضدهم الخلفاء^(١) فانتشر مذهبهم انتشارا عظيما وعارضهم السلف الصالح
رضى الله عنهم بقوة الدين لابقوة الدولة ومن المدل أن نقول ان المعتزلة
طلما دافعوا عن الاسلام وردوا أباطيل الفلاسفة ، ولذلك تعلموا الفلسفة
ليكفوا بها الفلاسفة بمثل أسلحتهم ، ثم هم لم ينكروا أنه تعالى قادر مرید
عالم حى سمیع بصیر متكلم وإنما يقولون قادر بذاته ، مرید بذاته لا بصفة
أما أهل السنة فيرون أن إثبات صفات الذات لا يوهم التمدد فان الصفات
ليست عين الذات ولا منفكة عنها وأن التمدد في الذات هو الذى يقتضى
تعدد القدماء ولما قال المعتزلة بوجوب الصلاح والاصلاح كانوا جدحريصين
على تنزيه الله عن الجور والظلم وإن غفلوا عن نسبة الكراهية اليه تعالى ونفى
الاختيار عنه فأثت ترى من كل ما تقدم أن المعتزلة فرقة إسلامية^(٢) بحمة
وأنها تطرفت في مجادلانها وآرائها حتى صارت محل النعمة من سواها
بل انها أخذت في التشدد في أحكام الثواب والعقاب فقالت ان العمل شطر
من الايمان وبنيت على هذا أن مرتكب الكبيرة لا مؤمن ولا كافر فعرضت
لسخط الكافة من الناس (والمعتزلة) قالوا فى الامامة بما يقرب من مذهب
الخوارج إلا أنهم لم يروا وجوب محاربة الامام الجائر إلا عند الامكان
وإذا انضم هذا إلى رأيهم فى أن مرتكب الكبيرة فلسق رأيت المسافة
بينهم وبين الخوارج قريبة جدا ، ولكنهم لم يعطوا صراحة الخوارج وجراؤهم

(١) كان الخلاف والنظام من أخص انقربين الى الخليفة عبد الله المأمون العباسى
(٢) بعض المحققين يستبعدون كثيرا ما عرف عنهم كالقول (بأن انقرآن جسم يمكن
أن يكون مرة رجلا ومرة حيوانا) وهو منسوب الى الجاحظ ولا يتفق مع علمه ومنطقه
ويمزون مثل ذلك الى خصومهم من الحشوية المداعمين عن جميع أهل الحديث وكل
ما روى عنهم والرأى المتقدم المنسوب الى الجاحظ نقله الشهرستانى (فى كتاب الملل
والدحل) عن (ابن الديزورى) المعروف بعداوتة لاجاحظ وقد توفى سنة ٢٩٨ هـ

فأبقوا باب التقية مفتوحا ، على أن هذا لا ينفى أن من المعتزلة من عرض للحياة الآخروية بما لا يتفق مع العقيدة السليمة في شيء ، ومن قال بالتناسخ وهو (أحمد بن حنبل) تلميذ (النظام) ومهما يكن من أمرهم فهم بعيدون من أن يكونوا آلة في يد عدو يكيد للإسلام كغلاة الشيعة ومن الذى يستطيع أن يجحد للمعتزلة وقوفهم بالمرصاد للفئة الكرامية القائلين بالتجسيم ؟

٣ - وأما المرجئة فقد ظهوروا أواخر القرن الأول وأنت خبير بأبن مذهبهم مذهب تساهل يهون ارتكاب المعاصى الأمر الذى لم يقل به أهل السنة ، والذى غلا فيه المعتزلة فضنوا على صاحبه بصفة الإيمان .

٤ - القدرية يستقون من معين المعتزلة فى مسألة إثبات الاستطاعة للعبد

٥ - الجبرية^(١) مضادون للقدرية والمعتزلة وأهل السنة فى دعواهم أن العبد مجبور على أعماله الاختيارية. هذا، ويمكنك أن تعد القدرية غلاة المعتزلة كما أن الخوارج فى مسألة مرتكب الكبيرة ومسألة الامامة غلاة المعتزلة أيضا .

٦ - وأما القرامطة والباطنية فليسوا بذوى رأى إسلامى كما قرأت

(١) وقد عد صاحب (خيثة الأكوان) من الجبرية (ضرار بن عمرو) ولم يورد عنه ما يشعر بذلك وعده الشهرستاني معطلا ونسب اليه القول بأن أفعال العباد مخلوقة لله وأكساب للعباد) وليس فى هذا جبر كما ترى ، وعده ابن حزم من أقرب المعتزلة الى أهل السنة

وهكذا تختلف أحكامهم على الأشخاص تبعا لتعدد الأقوال المنسوبة اليهم وقد ينسب الواحد الى فرق عدة مثل ثوبان فقد وصفوه (بالمرجئى الخارجى المعتزلى) وسعوه (جامع النقاىص) والمهم عندنا معرفة المذاهب والنبأث عليها وأشهر رجالها وهو ما تحريناه وصرفنا لأجله النظر عن أسماء كثيرة جعلت رهوس فرق ، فى حين أن ذويها لم يمتازوا بصفة خاصة يزيد بها عدد الفرق عما أوجبه أصول الاقتران

في تاريخهم وإنما هم زنادقة جاحدون وأعداء لناواة الاسلام مدفوعون

٧ - وأما الخوارج فقد أسلفنا الكلام عنهم بما فيه الكفاية

٨ - وأما أهل السنة فقد ظهر مذهبهم باعتباره مذهباً ذا قوة

وجبهة في أوائل القرن الرابع ، وقد كان معظم الناس إلى نهاية القرن الثالث

بين شيعي ومعتزلي ومرجئي ومشبه وقدرى ، وقل منهم من كان على

مذهب الساف الصالح فلما جاء الامام الحسن الأشعري ، قام يفسد آراء

تلك الفرق ، وسلك في ذلك مسلكاً وسطاً بين الساف الصالح ومخالفهم

من المعتزلة والمشبهة ، فأقبل الناس على مذهبه وعاضده كثير من أئمة

الفقهاء والمتكلمين فعرف رأيهم برأي أهل السنة والجماعة ، ووضعوا لهم

التوحيد على الأصول التوحيدة المروفة وبذلك انقطعت ذرائع الابتداع أو

كادت ، وأنت ترى أن هذا المذهب متأخر في مرتبة الوجود عن المذاهب

الاسلامية كلها فهو منها بمنزلة الحكيم^(١) الفاصل في منازعاتها

هذه . وازنات يسيرة جئت بها بعد بيان تلك المذاهب تثبتاتها وإيضاحا

لغايضا وتقريراً لمعانيتها : -

(١) وأصناف أهل السنة هم علماء التوحيد السالكون طريق الصفاتية ، وأئمة الفقه

كأبي حنيفة ومالك والشافعي وابن حنبل وسائر الفقهاء الذين لم يخلطوا افقه بأهواء

الفرق الأخرى ، ورجال الحديث الذين لم يخلطوا علمهم بنزعات تضاد عقيدة أهل

السنة ، وأئمة اللغة الذين لم يجاروا الفرق الأخرى في عقائدهم كالخليل بن احمد وأبي عمرو

ابن العلاء ، وعلماء القراءات والمفسرون على سنن أهل السنة ، والزهاد والصوفية الذين

جرب قولهم في جميع أحوالهم على السنة كالامام الغزالي ، والاسانيد عبد الوهاب الشعراني

والشيخ محيي الدين بن العربي بخلاف القائلين (بوحدة الوجود) فان لهم شأناً آخر

يذكر فيما بعد ، وعامة البلدان التي غاب فيها مذهب أهل السنة ممن لم يعتقدوا في بدع

الفرق الأخرى

الصوفية

الصوفية (سواء أكانت منسوبة إلى الصفاء^(١)، أم إلى الصفة^(٢))، أم إلى الصوف^(٣)) رمز إلى الزهد والتقشف والتعلق بالله جل وعلا والتعرف إليه، والانصراف عما عداه، والاستهانة بزخرف الحياة، فهي مذهب روحي بكل معاني الكلمة. قال (الجنيد): (التصوف أن تكون مع الله تعالى بلا علاقة) وقال (معروف الكرخي): (هو الاخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق) وقال آخر (التصوف مبني على ثلاث خصال التمسك بالفقر، والتحقق بالبذل، وترك الغرض والاختيار) وقال (ابن خلدون). (الصوفية من العلوم الشرعية الحادثة في الملة، وأصلها العكوف على العبادة، والانقطاع إلى الله، والاعراض عن زخرف الدنيا، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور، من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة، وقد كان ذلك فاشيا في الصحابة والسلف، ولما عم الاقبال على الدنيا في القرن الثاني وما بعده وجنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المتقبلون على العبادة باسم (الصوفية أو المتصوفة)

يستبين مما تقدم أن الأصل فيها عمل روحي، وأن هذا العمل كان في صدر الاسلام ولكنه لم يعرف بالاسم الذي اصطاح الناس عليه الا في القرن الثاني للهجرة

نعم كان ذلك شأن كثير من الصحابة والتابعين ومن تلاهم كسيدنا عمر ابن الخطاب، والحسن البصري، وعمر بن عبد العزيز، ولكن لم يكن

(١) صفوى غرفت الى صوفى

(٢) مسجد النبي عليه السلام

(٣) لأنه لباس التقشف في ذلك العهد

ليصرفهم عن العمل الدنيوي الذي يعود نفعه عليهم وعلى الكافة ، ولم ينسهم زهدهم ونسكهم أن الله جعل الدنيا مزرعة للآخرة ، ولا يعقل أن يكون منهم سوى ذلك وهم صحابة النبي عليه السلام أو التابعون قريبو العهد بزمن الرسالة ، وهم يعلمون أن أصول الشريعة الغراء تجعل السعي على العيش (من وجوهه المشروعة) في مقدمة القربات إلى الله ويتدبرون قوله تعالى (وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا)

فكانت الفكرة التي بنى عليها التصوف داعية لطهارة القلوب ، وتصفية النفوس ، وإحكام الروابط على أكل وجه بين عملي الدنيا والآخرة وكذلك كان الصدور من زعماء المتصوفة ، ولا يزال منهم السادة المتقون بالداعون إلى الخير ، السالكون إلى اليوم طريق الدين القويم

لقد كان لهذا المذهب أطوار وتقلبات ، فغالى فيه قوم حتى وقعوا فيما أسلفت الكلام فيه ، مما دعا البعض إلى تكفيرهم ، وحمل البعض الآخر على الاشفاق عليهم والتماس المآذير لهم ، على انه بنى تلك المآذير على تجردهم في بعض أحوالهم من سلطان العقل ، ومن أولئك القوم (الحلاج) الذي لم ينتج اختلاف أمه عصره في شأنه من الصاب والاحراق

وحداد قوم آخرون عن جادة الصوفية ، فاتخذوا التصوف حرفة لهم ، وجعلوا منه طريقا للعيش ، وانقطعوا عن العالم أو كادوا ، وعطلوا قواهم وجهودهم التي لو استغلوها (مع زهدهم وورعهم) لكان لهم ولغيرهم خير عظيم ، ومن أولئك القادرون على الكسب من العاكفين في (الاربطة^(١)) الذين وصفهم من يحسنون الظن في كل شيء بأنهم آثروا الآخرة على الدنيا وحرموا أنفسهم طيبات ما أحل الله ولم يفقهوا حكمة الله في خلق الحياة الدنيا

ولا قيمة السعى على المعاش ، ولا أن العمل في الدنيا طريق للسعادة في الآخرة

ويصفهم الآخرون بالوكيلين الكسالى الذين هانت نفوسهم وانحطت عزائمهم فشاركوا العجزة والمساكين واعتدوا على حقوق الارامل واليتامى من ذوى الفاقة الذين هم أولى برىح أوقاف المسلمين

هذا وقد مضى القرن الثانى للهجرة وفكرة التصوف خلو من كل ما يوهم (الحلول والاتحاد والوحدة) فلما جاء القرن الثالث وكثر اختلاط الصوفية بالفلاة من الشيعة كالاسماعيلية سرت اليهم أفكار غريبة عن أصل مذهبهم ، وهنا يحسن أن ننقل عبارة للعلامة (ابن خلدون)

قال (إن المتأخرين من المتصوفة القائلين بالكشف ، وفيما وراء الحس توغلو فى ذلك ، فذهب الكثيرون منهم إلى الحلول والوحدة ، وملكوا الصحف من قبل^(١) (ابن العربي^(٢) وابن الفارض^(٣)) وقد خالطوا (الاسماعيلية) المتأخرين من الرافضة الدائنين أيضا بالحلول واليهية الأئمة فأشرب كل واحد من الفريقين مذهب الآخر ، واختلط كلامهم ،

(١) يعنى بمثل كلامهما

(٢) هو الاستاذ (أبو بكر اسحق بن أحمد بن عبد الله الحاتمي) ولد فى سنة ٥٦٠ هـ بالاندلس وكان ظاهرى المذهب فى العبادات ، باطنى النظر فى الاعتقادات ، وله مؤلفات عدة كلها شاهدة بفضله ، رحل الى الحجاز ، ودخل مصر ، وأقام بمكة مدة ولم يعد الى الاندلس وقبره بالشام

(٣) العارف بالله (شرف الدين عمر بن الفارض) ولد بالقاهرة ، كان آية فى الزهد والتعلق بالله وشعره عذب حافل بالتورية وغيرها من المحسنات البديعية وقبره بجبل المقطم وفيه يقول أحد الشعراء

جز بالقرافة تحت ذيل العارض وقل السلام عليك يا ابن الفارض

وتشابهت عقائدهم وظهر في كلام الصوفية (القطب) ومعناه (رأس العارفين) يزعمون أنه لا يمكن أن يساويه أحد في المعرفة حتى يقبضه الله ثم يورث مقامه لا آخر من أهل العرفان)

وليلاحظ أن الزهد أساس من أسس التصوف ولكن الصوفي يجعل همه معرفة الله (جل وعلا) لا يتطلع في زهده إلى شيء سواه واعتبر ذلك في قول (رابعة ^(١) المدوية) المتصوفة (إلهي إذا كنت أعبدك رهبة من النار فأحرقني بنار جهنم ، وإن كنت أعبدك رغبة في الجنة فأحرمنيها وأما إذا كنت أعبدك (يا إلهي) من أجل محبتك فلا تحرمني من جمالك الأزلي) وقولها : (حي لله لا يترك مجالا في قلبي لحب مخلوق أذكره) وقول ابن الفارض (سلطان العاشقين : —

وما رد وجهي عن سبيلك هول ما لقيت ولا ضراء في ذلك مست .
وما هو إلا أن ظهرت لناظري بأكل أوصاف على الحسن أريت .
فليت لي البلوى فليت بينها وبينى فكانت منك أجمل حلية .
إلى غير ذلك مما تفيض به أقوال المتصوفين ، وكله غرام بالذات .
الالهية ،

كلمة في الطرق الصوفية

ولقد كان التصوف مذهباً واحداً ذا أسلوب واحد ثم دخله التفرقة باختلاف الأزمان والبيئات ، فنشأ من ذلك طرائق عدة ، لكل طريقة تقاليد وعادات ونظم خاصة في عبادتها وطراً على الصوفية ففكرة

(١) أم الخير رابعة بنت اسماعيل مولاة آل عتيك توفيت سنة ٢٣٥ هـ وقبرها:

التبطل^(١) والانقطاع في الرُّبُط (التكايا) واخترعت أسماء عدة تحدد نظام كل طريقة كالشيخ ، والمريد ، والدرويش^(٢) وصار لا بد للمريد قبل انخراطه في سلك الطريق من دورى رضاع^(٣) و فطام

كل ذلك لم يكن موجودا في الصوفية حتى جاء القرن الثالث فظهر وشاع بين المتصوفين كما ابتدع بعض الفرق الاغانى والموسيقى والشعر الصوفى تستعين بها (على ما تزعم) في حلقات الذكر التى تعقد على أنماط مختلفة مما شوه كثيرا من وجه التصوف ، وقلل من روعته وبعض الفرق تعالى في هذه البدع وفي تحريك الأبدان على نعم الموسيقى إلى حد ياباه الشرع ، ولا يتفق مع أصول الدين ، وخشوع الذاكرين : —

هذا والطرق الصوفية كثيرة ولها مشيخة تشرف عليها ، وترد الجامح منها إلى حظيرة الصواب ، ومنها ماله شأن كبير ، وأتباع كثيرون كالشاذلية والأحمدية والسوسية والغنيمية والمغازية مما لا يحتاج إلى إطالة في التعريف لشهرته وكثرة أتباعه

ومنها طريقة معروفة بفلوها في استعمال آلات الطرب ، والافتنان في حركات الجسم ، إذا عقدت مجالس الذكر وهى (المولوية) ولهم رباط مشهور فى القاهرة يقصده كثير من الناس (حتى الأجانب) ليقفوا على ما ابتدعه هؤلاء القوم من النغم الموسيقى ، وتوقيعه بمركاتهم^(٤) أتباع (جلال

(١) الاقطاع الى العبادة

(٢) كلمة فارسية تؤدى معنى (المريد) وقيل معناها (مكثف بالقليل) أى زاهد

(٣) يراد به دور الاختبار والاستعداد لتكاليف الطريق

(٤) المولوية وهم منسوبون الى جلال الدين الرومى (المولى)

الدين الرومي) المولود (بباغ^(١)) سنة ١٢٠٧ م ، تلقى العلم في حلب والشام ثم تصوف ، وله ديوان شعر فارسي اسمه (ديوان شمسي تبريزي) كله تصوف ، تتخذ قصائده للغناء في مجالسهم وله ديوان آخر اسمه (المسنوي) به الألوف من أبيات الشعر الفارسي موضوعه (محبة الروح لله وتوقها للرجوع الى مصدرها) وهو ممن يعتقدون بوحدة الوجود وقد رحل الى مدينة (قونية) زمن السلاجقة ومات بها سنة ١٢٧٣ م وكان له عند الخلفاء الثمانيين مقام جليل

شيء من الفلسفة الصوفية

لا نعتقد أننا خرجنا عن طريق الأيجاز ، إذا ما وقفنا وقفة قصيرة لنعرض عليك صورة مصغرة للفلسفة الصوفية ، فقد تفيد كثيرا في فهم كثير من أسرار هذا المذهب الاسلامي الذي أشعبت طرقه ، وتكاثرت فروعها .

فلديهم ما يسمونه (طريق الوصول الى الله) وهم يصنفون من قطعه (بالواصل) ومن يسلكه (بالسالك) ومن يهاهده الناس على طريقته (بالمسالك) ويسمون السير فيه سفرا أو حججا ، ولهذا السفر أو الحجج عندهم (مقامات) هي : التوبة ، والورع ، والزهد ، والفقر ، والصبر ، والتوكل ، والرضا ، وكل مقام منها محتاج إلى مجهود وطول منازعة لأهواء النفس ، ولا بد للسالك في (نظره) من شيخ يهديه الطريق ، وإلا كان سعيه قليل الثمرة .

وفي مقام الورع يختص المرء نفسه بخدمة غيره من الناس مبالغة في قهر

(١) ببلاد الأفغان .

النفس وإخماد شررتها ، وإفناء إرادتها ، وشفقاً للعواطف فلا تنصرف إلا إلى الله .

وفي مقامى الزهد والفقر يصرف نفسه عن الم لذات ويجعل شعاره .
(قلب فارغ ويد فارغة)

وفي مقام الصبر يعذب نفسه ظناً منه أنها تحول بنزعاتها دون معرفته .
واجب الوجود

وفي مقام التوكل بمجرد نفسه من إرادتها ، ويستسلم ويتغافل عن مستقبله .
وفي مقام الرضا تتم راحة النفس وينشأ نوع من الطمأنينة والسلام .
ويسمى (واصلاً)

ولديهم نظرية (مذهب الأشراق) يعنون به أن المرء إذا خلصت نفسه من الشوائب ، وتجرد من كل شئ سوى الله ، أشرق في قلبه نور اليقين ، فلا يكون للشيطان محل يوسوس به في القلب ، ويفنى عن كل شئ حتى عن نفسه فلا يشعر بشئ سوى الله

وطريق الوصول إلى هذه المنزلة تكون بالوجد والحبور والفناء ، والسماع ، والجذبة ، والسكر ، والحال ، ويقصدون بالسماع أن الصوفى يستطيع تكاف الوصول إلى درجة الإشراق بكثرة الذكر ، والاستماعة بالموسيقى ، وآلات الطرب ، والتوقيع ، وبالفناء انعدام الشهوات والرغائب . وبفناء الفناء انعدام التفكير في الوعى حتى لا يحس أحدهم بأنه في حالة الفناء ويفقد شعوره

وعندهم نظرية (المعرفة) يريدون بها (معرفة الله) وتكون باشتغال القلب والروح والسريرة بالله جل وعلا ، فيحصل من كل ذلك العرفان ، والمحبة ، والتأمل . وفي هذه المنزلة يتنصر (العارف) على جميع وساوس الشيطان

ثم عندهم نظرية (الحب الإلهي) والهيام بالذات الإلهية ، وتقوم معنى ذلك مما قرأته أول الكلام على الصوفية من كلام (رابعه) و(ابن الفارض) وقيل إنهم لجئوا إلى هذا النوع ، وأفرطوا في عبارات (العشق والخمر والتغزل) حفظاً لأسرارهم ، واستاراً وراء الرموز كما يشير إلى ذلك (سيدي محيي الدين بن العربي) إذ يقول (ليس في مستطاع العارفين إبطال شعورهم إلى غيرهم ، وغاية ما في هذا المستطاع هو الرمز عن تلك الظواهر لا أولئك الذين أخذوا في محاربتها)

وقد جعل (عفيف الدين التمساني) مراحل التصوف أربعة : -

الأولى لمعرفة وتنتهي بالفناء ، والثانية حال تبدأ حيث ينتهي الفناء ويعقبه البقاء وهنا يسمى السالك حقا (وليس بالحق) ثم يصل إلى درجة (القطب) أو (الانسان الكامل) والثالثة توجه السالك إلى المخلوقات للهداية والارشاد إلى طريق الدين ، وسلوك السبيل ، والرابعة (الموت) ويعنون به انقمار الصوفي في الصفات الربانية والأنوار الإلهية ، فيطالع الله في مرآة نفسه

ومن هنا انجر بعض القوم إلى القول بالحلول ووحدة الوجود ، واستعمل الحكم فيما نسب إلى بعض الصوفية من القول بهما في الكلام على وحدة الوجود ، والحلول

وحدة الوجود

مذهب أحدثه متأخرو الصوفية المتكلمون بالكشف وفيما وراء الحس كما نص عليه ابن خلدون في المقدمة ، ولعل أحسن طريق في بيان معناه ، والرد عليه أن نلخص عبارة لعبد الغني النابلسي في كتابه (إيضاح المقصود في معنى وحدة الوجود) الذي بدار الكتب الملكية ثم نرد آراءه بما يوافق

الحق عند أهل السنة ، ثم نلخص الرد عليه آخر المبحث وفي ذلك من الانصاف والوصول الى الحق ما نطمئن اليه النفوس : —

١ — قال النابلسي (ان جميع العوالم كلها على اختلاف أجناسها وأنواعها وأشخاصها موجودة من العدم بوجود الله تعالى لا بنفسها ، محفوظ عليها الوجود في كل لحظة بوجوده تعالى لا بنفسها ، واذا كانت كذلك فوجودها الذي هي به موجودة في كلِّ هو وجود الله تعالى لا وجود آخر)

ونرد عليه بأننا لا ننكر أن العوالم موجودة بوجود الله تعالى (أي بقدرته و ارادته) فهو مفيض الوجود عليها ، إلا أن وجوده قديم لا نهاية له ، ووجودها حادث له مبدأ ونهاية و فرق بين وجود قديم لا افتقار فيه ولا نهاية له ووجود طارئ ، ياحقه الفناء والنهاية ، فكيف يسوى العقل بين وجودين مختلفا في الحقيقة ؟ وقد أثبت الدليل العقلي أن وجود العالم طارئ ، وأن لا بد له من موجد ، وان ذلك الموجد لا يكون من جملة الممكنات ولن يكون الا واجب الوجود ومتى ثبت ذلك كان الواجب غير الممكن ، فيكون وجود الواجب غير وجود الممكن بالبدهة

٢ — و يقول : (فالعوالم كلها معدومة من جهة نفسها ، بعدمها الاصلى وأما من جهة وجود الله فهي موجودة ووجودها الذي هي به موجودة ، وجود واحد وهو وجود الله تعالى فقط . لا وجود لها من جهة نفسها)

ونحن نقول له : إن عايدلا لا ينازع في كونها (ممكنة لانقضى ماهياتها وجودا ولا عدما) ، تلك طبيعة الممكنات ، ولكن ليس معنى ذلك أن يكون من رجع وجودها على عدما مساويا لها في ماهية الوجود ، بل المنطق يقضي بأن يكون ذلك المرجح أسمى منها في رتبة الوجود ، ولا يكون ذلك إذا قلنا بما يقوله (أولئك الناس) من تساوى الله تعالى والحوادث في معنى

الوجود ولو كان الأمر كما ذهب إليه لكان في استطاعة حادث أن يحفظ الحياة على نفسه أو على من يود ، أو أن يفيض منها جزءا على سواه ، ما دامت ماهية و بوده نفس ماهية وجود الله ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، أما إذا أراد أن وجودها مسبب عن الله تعالى فلا تنازعه في ذلك ، ثم نقول له إن السبب غير المسبب والمعلول غير المعلوم ، وصانع الشيء غير ذلك الشيء بالضرورة

٣ - ثم قال : (وليس المراد بوجودها الذي هو وجود الله تعالى عين ذواتها وصورها بل المراد ما به تلك الذوات والصور ثابتة في أعيانها وما ذلك الا وجود الله تعالى ، وأما ذواتها وصورها من حيث هي في نفسها بقطع النظر عن إيجادها له بوجوده فلا وجود لأعيانها أصلاً)

ونحن نقول له إن إنكار وجود الذوات والصور نوع من السفسطة ومكابرة في المحسوس وان العقل والحس يجزمان بوجودها ثم يتولى العقل إثبات أن ذلك الوجود ليس لها من حيث هي وانه ما دام كذلك فهو وجود للغير ، وذلك لا ينفي وجودها ولكن يؤيد ما قدمنا من أن الوجود للغير غير الوجود للذات

٤ - ثم قال (إن الوجود الحق عين ذات الحق تعالى وهو وجود واحد لا ينقسم ولا يتبعض ولا يتجزأ ولا ينتقل ، ولا يتغير ، ولا يتبدل أصلاً ، وهو مطلق عن الكيفيات ، والكميات ، والأماكن ، والأزمان ، والجهات ، ولا يتصور فيه (الحلول) في شيء إذ ليس معه شيء سواه ، و (لا يتحد مع شيء) وإنما جميع الأشياء موجودة بوجوده الذي هو عين ذاته)

ونحن نقول : إن كون الوجود عين الموجود ، وكونه مطلقاً ، لا ينقسم ،

ولا كيفية له ، ولا يحده زمان ولا مكان الخ ما وصف به وجود الله ، ان هذا أمر لا ينفعه في مذهبه ، ولا يليق بوجود غير وجود الله وهل تسوى هذا الوجود (وتلك صفاته) بوجود الكائنات الذي حصل بعد عدم وهو عرضة في كل آونة للفناء والاضمحلال ، ومحدود بأزمنة وأمكنة ومصور بكيفيات خاصة ، وكميات محدودة ؟ وكيف وقد أثبت أنه لا يتحول ولا يتبعض الخ يجيز له المنطق أن يحله في خلق ضعيف ، يتناقى في صفاته مع كل ما وصف به الوجود الأزلى من الصفات ؟

٥ - ويقول محاولا الاستدراج إلى مذهبه (القائلون من علماء الكلام بأن الوجود اثنان : قديم وحديث مرادهم بالوجود الحادث نفس أعيان الذوات والصور فقط ، ولهذا كان مذهب الأشعري بأن وجود كل شيء عين ذات ذلك الشيء ثم يقول (فمن فسره بذلك يرد القول بوحدية الوجود)

ونحن نقول أن أحدا ممن يقول برأى (الأشعري) رحمه الله لا يقول (بوحدية الوجود) بل إن (الأشعري) نفسه ما كان زعيم أهل السنة إلا بتصديه للرد على مثل (وحدة الوجود) فإنه يقرر أن وجود الله تعالى قديم أزلى ، ووجود الحوادث حادث فان ، وماداما مختلفين في الماهية والأوصاف يستحيل عند العقل أن يكونا شيئا واحدا ، بل الآخذون برأى (الأشعري) أولى أن يتشبثوا بنفي (وحدة الوجود) لأن وجود الحوادث على هذا الرأى هو عين ذواتها ومحال أن يتصوروا مساواة أعيان الحوادث لمن خلقها واتحادها بمن أوجدها^(١)

(١) الأشعري رحمه الله يقول بذلك وحيته أنه لو كان الوجود غير الموجود يكون اما موجودا فيحتاج لوجد فيحصل الدور أو التسلسل واما معدوما فيلزم وصف الشيء بنقيضه

مما تقدم وضح لك معنى (وحدة الوجود) في زعم بعض الصوفية ،
واستبان لك أنه لا دليل لهم على ما يدعون ، وإليك أدلة أخرى على بطلان
هذه الدعوى : —

١ — اننا ترى الأشياء تنعدم بعد وجودها ، فوجدوها صائراً إلى الفناء
ولا يمكن بمد هذه المشاهدة أن يكون وجودها نفس وجود الله ، وإلا جاز
أن يلحقه أيضا الفناء

٢ — إنه يلزم من القول (بوحدة الوجود) نفي التكاليف ، لأنه
لا معنى لها ما دام القوم يقولون إنه لا موجود سوى الله ، وكيف يتصور أن
يرسل الله رسلاً أيرسلهم من نفسه إلى نفسه ؟! وكيف يكون من خلقه البر
والفاجر ؟ (سبحانك هذا بهتان عظيم)

وكيف مع هذا يحاسب الله خلقه ويماقبهم وهم (فيما زعموا) لا وجود
لأشخاصهم ، ثم وجودهم فوق ذلك نفس وجود الله ؟!

٣ — وأنه لو كان الأمر كما قالوا لكان في الله تعالى نقص أى نقص .
فإن العالم مملوء بالنقائص والشرور ، وهم ينزهون الله عن كل النقائص

وقال الفخر الرازي وجماعة من المتكلمين : إن الوجود غير الموجود لان الوجود
صفة وهي مقابلة للموصوف ، ووجود الله معلوم لنا وذاته الموصوفة بالوجود غير
معلومة ولو كان الأمر كما قال الأشعري لكانت ذاته معلومة كوجوده ، وقالت طائفة
من الفلاسفة ان وجود الواجب عنه لثلاث تعدد القدمات أما وجود الحوادث فغيرها
وقال بعضهم إن الخلاف في اللفظ فقط فراد الأشعري أن الوجود ليس زائداً
في الخارج بحيث تصح رؤيته كالسواد والياض وهذا لا يمنع أن بين الموجود والوجود
مقابلة في المعنى وهو مراد مخالف الأشعري . قال في شرح المقاصد وما أغرب حال
الوجود ! أقرب الأشياء وأشهرها مع تشعب مباحثه وأكثره اختلاف العقلاء فيه

والشورور فلا معنى لأن يجعلوا الخلق عين الحق فيعرضوا ذاته العلية
بذلك إلى النقائص (سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا)
هذا: وللقوم عبارات ينبغي أن أسرد منها شيئا ليقف القارىء على
معانيهم ومقاصدهم منها:

(الحق مشهود، والخلق موهوم) سريان الهويّة الالهية في الموجودات
أوجب سريان جميع^(١) الصفات الالهية فيها: من الحياة، والعلم، والارادة
والقدرة؛ لكن ظهر ذلك في بعضها بكل ذلك كالكمّل. والاقطاب ولم
يظهر في البعض الآخر فسمى حيوانا، والبعض جادات
تجلّت (تجلىها الوجود) لناظرى ففي كل مرئى أراها برؤيتى.
ان كل فعل شاهدته في كل مظهر فهو فعل الواحد الحق، الأحـد.
(الصمد)

تجلى حيبى في مرأى جماله	ففي كل مرأى للحبيب طلائع ^(٢)
فلما تبدى حسنه متنوعا	تسمى بأسماء فهن مطالع
وفي فيه من روى نفخت كفاية	هل الروح إلا عينه يا منازع
فيا أحدى الذات في عين كثرة	ويا واحد الأشياء ذاتك شائع
قطعت الورى من ذات نفسك قطعة	ولم تك موصولا ولا فصل قاطع
أنا الحق والتحقيق جامع خلقه	أنا الذات والوصف الذى هو تابع

(١) والمقرر عند أهل السنة أن الله واحد في صفاته فليس لأحد صفة تشبه صفاته
إذ صفاته قديمة وصفات غيره حادثه، واعتبر ذلك في علم الله تعالى الذى أحاط بكل
شئ. وعلم الانسان الذى يقف امام الحقائق حائرا عاجزا

(٢) من قصيدة للشيخ عبد القادر الجيلانى من أئمة الصوفية عنوانها (النوادر
العينية في البوادر النيبية) في ٥٣٤ يتنا

وهم يسمون هذا وأشباهه (عام الحقيقة) وأشار اليه الامام الغزالي (١)
في كتبه وقال في كتابه (مشكاة الأنوار)

(العارفون بعد العروج على سماه الحقيقة اتفقوا على أنهم لم يروا في
الوجود الا الواحد الحق ، واستهوت عقولهم الفرديّة ، فصاروا كالمبهوتين
فيه ، ولم يبق فيه متسع لذكر غير الله ، ولا لذكر أنفسهم أيضا فسكروا
سكرا وقع دونه سلطان عقولهم ، فقال بعضهم (أنا الحق) وقال الآخر
(سبحاني) وقال غيره (ما في الجبة غير الله) فلما خف عنهم سكرهم وردو
إلى سلطان العقل عرفوا أن ذلك لم يكن حقيقة الاتحاد ، بل يشبه الاتحاد
مثل قول العاشق

أنا من أهوى ومن أهوى أنا نحن روحان سكتنا بدنا
فاذا أبصرتي أبصرته واذا أبصرته أبصرتنا
وهي حال الفناء لأن صاحبها فنى عن نفسه وفنى عن فئاته

وأنت ترى أن الغزالي ينسب ما وقع منهم الى ذهاب سلطان عقولهم
وفنائهم في حب الله تعالى والغزالي من كبار أئمة أهل السنة

ويقرب مما ذهب اليه الغزالي قول أبي مدين التلمساني :

الله قل وذر الوجود وما حوى إن كنت مرتانا بلوغ كمال
فالسكل دون الله (ان حقيقته) عدم على التفصيل والاجمال
واعلم بانك والموالم كلها لولاه في محو وفي اضمحلال
من لا وجود لذاته من ذاته فوجوده لولاه عين محل
والعارفون فنوا به لم يشهدوا شيئا سوى المتكبر المتعالى

(١) أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي علامة زمانه في الفقه والكلام والمنطق

كانت وفاته سنة ٥٠٥هـ في (طوس)

ورأوا سواه على الحقيقة هالكا في الحال والماضي والاستقبال
ومع ما اعتذر به عنهم الامام الغزالي وغيره ، وعدم ما يصدر عنهم
نوعا من (الشطح) المصطلح عليه عندهم فقد قال العلامة الاثير في حاشية
الجوهرة (ذهب بعض المتصوفة والفلاسفة الى أنه تعالى الوجود المطلق
وأن غيره لا يتصف بالوجود أصلا حتى إذا قالوا ان الانسان موجود فعناه
أن له تملقا بالوجود وهو الله تعالى وهو كافر ولا حلول ولا اتحاد ، فان
وقع من أكبر الأولياء ما يوهم ذلك أول بما يناسبه كما يقع منهم في وحدة
الوجود ، كقول بعضهم (ما في الجبة إلا الله) أراد ما في الجبة بل والكون
كله لا وجود له إلا بالله)

ثم قال (وذلك اللفظ وان كان لا يجوز شرعا لايهامه لكن القوم تارة
تغلبهم الاحوال) ..

ونقل أن (الحلج) قال (أنا) وفيه بقية مامن شعوره بنفسه ، ثم
فنى بشهوده فقال (الله) فهما كلمتان في مقامين مختلفين ولكن أفنى بقتله
(الجنيذ)^(١) سلطان الصوفية عملا بظاهر الشريعة الذي هو أمر الظاهر الباطن

الحلول

الحلول دعوى من أخطر الدعاوى التي ظهرت في الاسلام قال بها
قوم من غلاة الروافض من السبئية ومن مائلهم ، ومعناه (كما في الطوابع)
« قيام بوجود بوجود على سبيل التسمية » وهو محال على الله تعالى لأنه
لا يمكن حلول القديم في الحادث لاختلاف ماهيتي القديم والحادث ، ولأن
الحلول يجعل الحال تبعاً لما حل فيه فلا يتيقن الحال إلا بتوسط المحل فيكون
للحال معلولا له ومتأثرا به وهذا يناقى وصف الله تعالى بكونه واجبا لذاته

(١) هو أبو القاسم سعيد بن عبيد الملقب بالجنيذ

ولأن الحلول إن كان حلول عرض في جوهر فواجب الوجود ليس عرضاً، وإن كان حلول جوهر في جوهر فليس الله تعالى جوهرًا ولأن الحلول ومثله الاتحاد بين الممكنين محال، إذ لا يمكن أن يصير رجالاً زجلاً واحداً لتباينهما في الذات. فالتباين بين واجب الوجود وبين الممكن أعظم وأولى لتباين الماهيتين في الواجب والممكن.

وفي هذا القدر كفاية لابطال هذا المذهب، وقد عد بعض المتكلمين والفقهاء فئة «الحلاجية» من الحلولية وهم منسوبون إلى (الحسين بن منصور) المروف (بالحلاج) وهو من مدينة (البيضاء) بفارس كان متصوفاً ناسكاً يتكلم بما يسمى لدى الصوفية (بالشطح) وهو الكلام الذي يحتمل معنيين (حسن ومذموم) وزعم من عده حلولياً أنه قال: «من هذب نفسه في الطاعة وصبر على اللذات والشهوات ارتقى إلى مقام المقربين ثم لا يزال يصعد ويرتقى في درجات المصافاة حتى يصفو عن البشرية فإذا لم يبق فيه من البشرية حظ حل فيه روح الله الذي حل في عيسى بن مريم ولم يُرد حينئذ شيئاً إلا كان كما أراد وكان جميع فعله فعل الله» ومن عده من المتكلمين حلولياً حكم بكفره وقد برأه فريق من المتكلمين بالبصرة ونسبوه إلى حقائق معاني الصوفية واختلاف الفقهاء والصوفية فيه كما اختلف المتكلمون، وقيل أنه استمال إلى رأيه جماعة من حاشية الخليفة (جعفر المقتدر بالله) فقتله وصلبه عند جسر بغداد سنة ٣٠٩ هـ ثم أحرقه ونثر ترابه في دجلة؛ والذين حسنوا الظن فيه وبرءوه من دعوى الحلولية التي قال بها ابن سبأ ومن إليه اجتجوا بأنه قال حين قطعت يده ورجلاه (حسب الواحد أفراد الواحد)

التناسخ

معناه انتقال الروح بعد الموت من جسد الى جسد ، وقد قال به - هذا طوائف قبل الاسلام وبعده ، فالذين قبل الاسلام من الفلاسفة والسُّنَّية^(١) وغيرهم قالوا بتناسخ الأرواح في الصور المختلفة وجوزوا أن ينقل روح إنسان الى كلب أو العكس ، وزعموا أن من أذنب في قالب (جسد) ناله العقاب على ذلك في قالب آخر ، وقال (مان الحكيم) رأس المانوية : إن أرواح أهل الضلال إذا أرادت اللحاق بالنور الأعلى ردت إلى أسفل فتتمل في الحيوانات حتى تطهر ثم تلحق بالنور العالی - وبمن قالوا به بعد الاسلام (عبد الكريم بن أبي العوجاء) الذي اجتمعت فيه صفات معظم الفرق فقد كان يرى رأى المانوية ويقول بالتناسخ ويميل الى الامامية من الشيعة ويقول بالقدر وهو من وضاع الأحاديث وقتله أبو حنيفة المنصور وقال عندما قدم للقتل : لقد وضعت أربعة آلاف حديث أحلت بها الحرام وحرمت الحلال وفطرت فيها الرافضة في يوم من أيام صومهم وصومتهم في يوم من أيام فطرمهم ، ومنهم البيانية (من غلاة الرافضة) القائلون بأن روح الله دارت في الأنبياء حتى صارت في بيان بن اسماعيل ومن القائلين بالتناسخ أحمد بن حنبل (المعتزلى القدرى) زعم أن الروح لا يزال يتكرر في هذه الدنيا في صور مختلفة ما دامت طاعاته مشروبة بذنوبه وعلى قدر ذنوبه وطاعاته تكون منازل قوائبه في الانسانية والبهيمية فاذا ما انحض عمل الحيوان طاعات رد إلى دار النعيم التي فيها خلق ، واذا ما استحللت أعماله معاصى نقل الى النار يصلى عذابها الدائم ، وعلى هذا المحور تدور أقوال القائلين بالتناسخ كالقرامطة . وأبى مسلم الخراسانى

(١) السمية قوم من الهنود يقولون بقدم المالم ، وأنه لا موجود إلا من طريق الخواص

وكلها كما يظهر مما سبق ترجع الى فكرة الثواب والعقاب
ومنع بعض القائلين بالتناسخ أن يكون انتقال الأرواح من الانسان
الى غيره من الحيوان وجملوه يدور بين أفراد النوع الانساني وحده .
وهم من الدهريين القائلين بعدم تناهى العالم فالارواح تتردد في الاجساد
أبدا ولا تنتقل الى غير جنسها الذى لها بطبعمها الاشراف عليه
ونجمل الرد على هذا المذهب فيما يأتى :-

١ - نقول للفرقة المنتسبة للاسلام ان أهل السنة مجمعون على تكفيرهم
ثم انهم يقولون إن مدار مذهبهم الثواب والعقاب مع أن الشرع الذى
ينتسبون اليه لم يجعلها على الصورة التى فرضوها بل جعلها بالعذاب
والنعيم في البرزخ^(١) ثم بالجنة أو النار بعد الحساب في اليوم الآخر بعد
احياء الأجساد وإلباسها الارواح - ولا حجة لهم كما توهموا في قوله
تعالى (في أى صورة ما شاء ركبك) وقوله جل شأنه (جعل لكم من
أنفسكم أزواجا ومن الانعام أزواجا يذرؤكم فيه) فغنى الصورة في الآية
الأولى - كما هو واضح - تلك التى ركب عليها الانسان من طول أو
قصر وحسن أو قبح وسواد أو بياض الى غير ذلك ، ومعنى الثانية أن
أن الله تعالى يعد منته على بنى آدم بأن خلق لهم أزواجا من أنفسهم وأصنافا
من الانعام ينتفعون بها ، ثم بين أنه يذرؤهم أى (يكثرهم ويبتهم) في هذا
التدبير (أى بسببه) وهو أن جعل لكل من الناس والانعام أزواجا يكون بين
ذكورها وأنثاهما التوالد والتكاثر ، وبدهى أن أزواج بنى آدم التى يكثرون
بها لا تكون إلا من النوع الانساني اذ لا يتصور العقل أن يكون للانسان
أزواج يتوالد النسل فيها من الانعام ، هذا هو المعنى الذى تصرخ به اللغة
والدين والعقل لا ما ادعاه أولئك المبطلون ممن حملوا اللفظ مالا يطبق
ليوافق هواهم ، وليلبسوا به على العامة دينهم

(١) هو الوقت الذى بين الموت والقيامة - والأصل فيه الحاجز بين الشيتين

٢ - ثم نقول للدهريين إن دعواهم لا تعتمد على برهان حسي أو عقلي وقد قامت الأدلة على حدوث العالم وما كان حادثاً فلا بد له من نهاية وإذا نقرر ذلك انتفى زعمهم الذي بنوه على اعتبار أن العالم قديم لا يتناهي على أنه لم توافقهم نبوة ماني زعمهم هذا والنبوات جاءت لارشاد العقل البشري إلى المعارف الدنيوية والأخروية لما ثبت قصوره عن ادراكها

٣ - ونقول للدهريين أيضاً ولمن انتسبوا إلى الإسلام من القائلين بالتناسخ إن تساوى نفسين في جميع الخصائص أمر غير ممكن فليس في العالم كله شيئان متشابهان تمام التشابه من جميع النواحي بجميع الأعراض كما يزي من يتدبر الصور والهيئات والأخلاق، وإذا قيل هذا شبيه هذا فلما المبنى أنه مثله في أكثر الأحوال لا في كلها، ونحن نعلم أن الأخلاق تتباين والأخلاق محمولة على النفس التي هي محل لها. ومتى تباينت الأخلاق تباينت النفوس من ناحيتها - وإذا تباينت النفوس كانت نفس كل بدن من الأبدان من أى نوع كان خلاف التي في غيره من أبدان ذلك النوع بالضرورة، وإذا يبطل القول بانتقال نفس من بدن هي مستعدة له إلى آخر من نوع ذلك البدن تصلح له نفس أخرى له خصائصها وأخلاقها

٤ - ثم نقول لمن يقولون من الفلاسفة وغيرهم بجواز انتقال الروح من بدن إلى آخر ولو لم يكن من نوعه، أنه إذا ثبت عدم اتفاق نفسين من نوع واحد في كل الخصائص فعدم الاتفاق بين نفوس الأنواع المختلفة أولى وأذن لا معنى لأن تقوم نفس من نفوس الإنسان بتسيير بدن حيوان آخر لم يكن فيها استعداد لتسييره، ومن العجب أن يقول السمنية بذلك وهو أمر لا يدرك بالحواس مع أن مذهبهم أنه لا يوجد معلوم إلا من طريق الحواس!

٥ — وأخيراً نقول ان الله خلق الاجناس ورتب تحتها الانواع وميز كل نوع بفصل خاص لا يشركه فيه سواه من أفراد النوع الآخر ، فالانسان يميزه عن القرد بالعقل والنطق وهكذا سائر الانواع تميزت عن غيرها بصفة خاصة . وما هذه الفصول والصفات بخصائص لأبدان الانواع وانما هي للنفوس التي هي ارواحها المدبرة لها

وعلى هذا تكون نفس الانسان ناطقة ونفس الحيوان غير ناطقة فالنفسان مختلفتان بل اريب واذن لا سبيل لأن تنقل نفس ناطقة الى محل نفس غير ناطقة أو العكس والا انتقضت الأشياء على حقائقها وبطل أثر الحس وبداهة العقل وانقسمت الأشياء على حدودها ومن كل هذا ثبت بطلان التناسخ بالشرع والعقل والحس المشاهد

والحمد لله أولاً وآخراً



فهرس الكتاب

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣	المقدمة	١٨	(النظام)
٥	منشأ الفرق الاسلامية	٠٠	رأية في معرفة الله تعالى بالمقل
٧	الحكم عليها من الوجة الدينية	١٩	قبل الشرع والرد عليه
١	— (رأى ابن حزم)	١٩	قوله : إن الله لا يقدر على المعاصي
ب	— (رأى البغدادي)	٠٠	والشروع
٩	أنواع الفرق الرئيسية	٠٠	(العلاف)
١٠	انقسامها الى فرق شتى	٠٠	رأيه في خلود أهل الجنة والنار والرد
١٠	أهل السنة	٠٠	عليه
١٢	رأيهم في إثبات الصفات الالهية	٠٠	قوله بجواز وقوع طاعة لا ينوي
٠٠	الكسب والاختيار بالنسبة	٢٠	بها طاعة
٠٠	لأفعال العباد	٢٠	(جعفر بن مبشر)
١٣	رؤية الله تعالى في الآخرة	٠٠	(عيسى بن صبيح المزدار)
١٤	رأيهم في الاستواء على العرش ونحوه	٠٠	رأيه في القرآن الكريم ، ورؤية الله
١٥	وضع علم الكلام ، وأدله	٠٠	(احمد بن حائظ)
٠٠	المعتزلة	٠٠	قوله إن في الدواب والطيور رسلا
٠٠	رأيهم في حسن الأسياء وقبحها	٢٢	من نوعها والرد على هذا القول
٠٠	ورد أهل السنة عليهم	٢٢	(الجاحظ)
١٦	الإيمان والاسلام وما يتعلق بهما	٠٠	رأيه في الجنة والنار والرد عليه
« هامش »		٢٣	قوله إن الله لا يريد المعاصي والرد عليه
١٧	مسألة القول بخلق القرآن الكريم	٢٣	(أبو علي الجبائي)
		٠٠	دعواه أن الله مطيع لعبده إذا أجاب
			دعاه والرد عليه

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
٣٢	حرب الزهروان بينهم وبين سيدنا على	٥٠	(أبو هاشم الجبائي)
٣٣	المؤامرة التي أفضت إلى قتل الامام على (كرم الله وجهه)	٥٠	آراؤة في التوبة
٣٦	شجاعة الخوارج وصور كثيرة منها	٥٠	(ملخص آراء المعتزلة)
٣٦	بعض مفارقات الخوارج	٥٠	مسألة مرتكب الكبيرة
٣٧	شعراء الخوارج وخطبائهم ونماذج شتى لهم	٥٠	المرجئة
٤١	أسماء الخوارج	٥٠	(الثوبانية)
٥٠	فرق الخوارج	٥٠	موازنة بين مذهبهم ومذهبي أهل السنة والمعتزلة
٥٠	(الأزارقة)	٥٠	السنة والمعتزلة
٤٢	(المهلب بن أبي صفرة)	٥٠	الشيعة
٤٣	(الشيبيبة) وحروبهم	٥٠	لم سموا بالروافض؟
٤٤	(النجيدات) وفروعهم	٥٠	(الزيدية)
٤٥	(المجاردة)	٥٠	(الجارودية)
٤٧	(الصفيرية)	٥٠	(الامامية)
٥٠	(الاباضية)	٥٠	(الكيسانية)
٤٨	نظرة إجمالية في تاريخ الخوارج	٥٠	(غلاة الشيعة وآراؤهم)
٤٩	اختلاف آراء الخوارج وسببه	٥٠	(اليانية) قولهم بالحلول
٥٠	ما يجتمع عليه الخوارج من الآراء	٥٠	(الجناحية) » »
٥٠	بحث في السبب الباعث لهم على الخروج	٥٠	(المفوضة)
		٥٠	تطور المذهب الشيعي
		٥٠	٣٠ الخوارج
		٥٠	نشأتهم
		٥٠	٣١. إقحامهم الدين في سبيل دعوتهم

الموضوع	الصفحة	الموضوع	الصفحة
(الجوتقية)	٥٥	مناظرة الامام على لهم	٥١
اليانية	٥٥	استمرار في تعرف السبب الباعث	٥٢
(الكرامية وآراؤهم)	٥٩	على خروجهم	
الباطنية والقرامطة	٥٩	٥٤ جهم لاخذ النار وتأثيره في	
(البهائية)	٦٢	طول مدتهم	
الرد على زعمهم أبدية العالم	٦٤	٥٥ الجبرية	
كلمة إجمالية في الفرق	٦٦	٥٥ نظرة في مذهب الجبر	
أصناف أهل السنة (هامش)	٦٩	٥٦ (جهم بن صفوان)	
(الصوفية)	٧٠	٥٥ قوله بقاء الجنة والنار والرد عليه	
كلمة في الطرق الصوفية	٧٣	٥٧ القدرية	
٧٥ شيء من الفلسفة الصوفية		٥٥ أقسام القدرية «هامش»	
(وحدة الوجود)	٧٧	٥٥ المشبهة	
٨٠ مسألة كون الوجود عين الموجود		٥٨ معنى (الله نور السموات والارض)	
أو غيره		٥٥ (الجمد بن درهم)	
(الحلول)	٨٤	٥٥ (الهشامية)	
(التناسخ)	٨٦		



مراجع هذا الكتاب

- ١ — الفصل في الملل والنحل : لابن حزم
- ٢ — الملل والنحل : للشهرستاني
- ٣ — الكامل : للمبرد
- ٤ — تاريخ الكامل : لابن الأثير
- ٥ — الفرق بين الفرق : للبغدادى
- ٦ — خيثة الأكوان : لصديق خان (ملك بهوبال)
- ٧ — ملخص تاريخ الخوارج : للمرحوم الشيخ محمد شريف
- ٨ — مقدمة ابن خلدون
- ٩ — تاريخ التصوف الاسلامى : للأستاذ عبد اللطيف الطيباوى
- ١٠ — أدب الجاحظ : للأستاذ حسن السندوبى
- ١١ — دائرة المعارف : للأستاذ فريد وجدى
- ١٢ — تنزية الاعتقاد عن الحلول والاتحاد : للجلال السيوطى
- ١٣ — إيضاح المقصود عن معنى وحدة الوجود : لعبد الغنى النابلسى
- ١٤ — مجلة نور الاسلام (العدد الخامس : المجلد الأول) لفضيلة
الأستاذ الشيخ « محمد الحضرمى حسين »
- ١٥ — رسالة التوحيد : للامام الشيخ « محمد عبده »
- ١٦ — تلخيص المحصل : للفخر الرازى

-
- ١٧ - حاشية الجوهرة : للعلامة الأمير
 ١٨ - حاشية الخريدة : للعلامة الصاوي
 ١٩ - دلائل التوحيد : للقاسمي دمشقي
 ٢٠ - كلمة التوحيد : لفضيلة الأستاذ الشيخ حسين والي
-

هذا ولا أنسى فضل أستاذيَّ الجليلين : الشيخ أحمد الاسكندري ،
 والشيخ محمد فخر الدين الأستاذين بدارالعلوم ، فقد كان لارشادهما أثر كبير
 في اتجاهي الى تأليف هذا الكتاب ، من أحسن المظان ، وأصدق الآراء



